هدية المستفيد
حاشية على كتاب التوحيد

للشيخ إسحاق بن حمد بن عتيق رحمه الله

قدم له وراجعه
اسماعيل بن سعد بن عتيق

١ بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوحيد

قول الله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾. وقوله: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾. الآية. وقوله: ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتح المصنف كتابه بالبسمله إقتداءً بالكتاب العزيز، وتأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم في مكاتباته ومراسلاته وعملاً بحديث كل أمرٍ ذي بال لا يُبدأ فيه ببسم الله فهو أقطع.

قوله «كتاب التوحيد» سمي دين الاسلام توحيد لأن مبناه على أن الله واحدٌ في ملكه وربوبيته لا شريك له وواحد في أسمائه وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ندّ له.

قوله «وقول الله تعالى (وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون)». قال شيخ الإسلام العبادة: هي طاعة الله بامتثال ما أمر الله به على ألسنة الرسل، ومعنى الآية أن الله تعالى أخبر أنه ما خلق الجنّ والإنس إلا لعبادته، فهذا هو الحكمة في خلقهم، قلت وهي الحكمة الشرعية الدينية. قوله «ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً» الآية. الطاغوت مشتق من الطغيان وهي مجاوزة الحد. وأما معنى الآية: فأخبر تعالى أنه بعث في كل طائفةٍ رسولاً جزاه الله أي أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت أي اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة ما سواه. قوله «وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه» الآية. قال مجاهد

الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما: أفٍّ ولا تنهرهما، وقل لهما قولاً كريماً. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً. وقوله ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ وقوله تعالى ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده

قضى: يعني وحتم، وعن ابن عباس: يعني أمر، وقوله "أن لا تعبدوا إلا إياه" أي: تعبدوه وحده دون ما سواه وهذا معنى لا إله إلا الله.

وقوله "وبالوالدين إحساناً" أي: وقضى أن تحسنوا بالوالدين كما قضى بعبادته وحده لا شريك له وهذا دليل على تأكد حقهم وأنه أوجب الحقوق بعد حق الله، وكثير في القرآن يقرن بين حقه عز وجل وبين حق الوالدين.

وقوله "قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئاً" الآيات. أي هلموا وأقبلوا، أتل أي اقص عليكم وأخبركم بما حرم ربكم عليكم حقاً لا تحرصاً ولا ظناً بل وحي وأمر من عنده أن لا تشركوا به شيئاً. قال وكأن في الكلام محذوفاً دل عليه السياق وتقديره وصاكم ان لا تشركوا به شيئاً، ولهذا قال في آخر الآية ذلكم وصاكم به — وبالوالدين إحساناً برهما وحفظهما وصيانتهما.

"ولا تقتلوا أولادكم من إملاق" أي: لا تقتلوا أبناءكم خشية العيلة والفقر "ولا تقربوا الفواحش" نهي عام عن جميع الفواحش وهي المعاصي. قوله "ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق" وعن ابن عباس "من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين خريفاً".

وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسًا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله. ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)

«ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون» أي ان الله تعالى وصانا بهذه لنعقلها عنه ونعمل بها وقوله «ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن». قال مجاهد: التي هي أحسن التجارة فيه «حتى يبلغ أشده» هو الرشد وزوال السفه مع البلوغ وقوله «وأوفوا الكيل والميزان» يأمر تعالى بإقامة العدل في الأخذ والإعطاء. والقسط: العدل. «لا نكلف نفسًا إلا وسعها» قال ابن كثير: أي من اجتهد في اداء الحق وأخذه فإن أخطأ بعد استفراغ وسعه وبذل جهده فلا حرج عليه «وإذا قلتم فاعدلوا» أمر بالعدل في القول والفعل على القريب والبعيد. «وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون». قال ابن جرير ويوصيه الله وصاكم بها أوفوا وانقادوا لذلك بأن تطيعوا فيما أمركم به ونهاكم عنه، وتعملوا بكتاب الله وسنة رسوله وذلك هو الوفاء بعهد الله. «تذكرون» تتعظون. قوله «وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه» الآية. أي وصاكم به وبأن هذا صراطي، والصراط: الطريق الذي هو دين الأنبياء عليهم السلام. «مستقيمًا» مستويا قويمًا لا اعوجاج فيه فأمر باتباع طريقه الذي طرقه على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وشرعه وشريعته الحنفية وتشعبت منه طرق فمن سلك الجادة نجا، ومن تخلف إلى تلك الطرق أفضت به إلى النار،

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى: ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ﴾ إلى قوله ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً ﴾ الآية.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي « يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله »؟ فقلت الله ورسوله أعلم.

قال تعالى « ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » أي تميل اهـ.

وعن ابن مسعود قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً بيده ثم قال هذا سبيل الله مستقيماً ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال وهذه السبل ليس منها سبيل إلا وعليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ « وأن هذا صراطي مستقيماً » الآية. قوله قال ابن مسعود الخ قال بعضهم من أراد أن ينظر إلى الوصية التي كأنها كتبت وختم عليها فلم تغير ولم تبدل فليقرأ قوله تعالى « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم » الآيات مضبوطاً بالكتاب الذي كتب ثم ختم عليه فلم يزد فيه ولم ينقص، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لو وصى لم يوص إلا بكتاب الله تعالى، وهذه الآيات وصية الله تعالى ووصية رسوله صلى الله عليه وسلم قوله « عن معاذ بن جبل الخ » قوله كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم الخ » فيه تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار وجواز الإردان على الدابة إذا كانت مطيقة. قوله « أتدري ما حق الله على العباد » أخرج السؤال بصيغة الاستفهام ليكون أوقع في النفس وأبلغ في فهم المتعلم، قال شيخ الإسلام كون المطيع يستحق الجزاء هو استحقاق إنعام وفضل ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحقه المخلوق على المخلوق. قوله « فقلت الله ورسوله أعلم » فيه حسن الأدب من المتعلم وأنه ينبغي لمن سئل عما لا يعلم أن يقول ذلك بخلاف أكثر المتكلفين.

قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. قلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال «لا تبشرهم فيتكلوا» أخرجاه في الصحيحين.

فيه مسائل: (الأولى) الحكمة في خلق الجن والإنس. (الثانية) أن العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه. (الثالثة) أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾. (الرابعة) الحكمة في إرسال الرسل. (الخامسة) أن الرسالة عمت كل أمة. (السادسة) أن دين الأنبياء واحد

قوله «حق الله على العباد» أي يوحدوه بالعبادة ولا يشركوا به شيئاً، فلا بد من التجرد من الشرك في العبادة فإن من لم يتجرد من الشرك في العبادة لم يكن آتياً بعبادة الله، بل هو مشرك قد جعل لله نداً. قوله «وحق العباد إلخ» ليس على الله حق واجب بالعقل كما تزعم المعتزلة، لكن هو سبحانه أوجب ذلك على نفسه تفضلاً وإحساناً على الموحدين المخلصين الذين لم يلتفتوا في إرادتهم ومهماتهم ورغباتهم ورهباتهم إلى أحد سواه ولم يتقربوا بما يفعلونه ويعملون من الطاعات إلا إليه. قوله «أفلا أبشر الناس» فيه استحباب بشارة المسلم بما يسره. «ولا تبشرهم فيتكلوا» أي يعتمدوا على ذلك فيتركوا التنافس في الأعمال الصالحة وتأخير جزائها عند موته تأثماً أي تحرجاً من الإثم.

(السابعه) المسأله الكبيره أن مجاوده الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ففيه معنى قوله تعالى ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ الآيه (الثامنه) ان الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله . (التاسعه) عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سوره الأنعام عند السلف . وفيها عشر مسائل أولها النهي عن الشرك (العاشره) الآيات المحكمات في سورة الاسراء . وفيها ثنتي عشره مسأله بدأها الله بقوله ﴿ لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد ملوماً محذولاً ﴾ وختمها بقوله ﴿ ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً ﴾ ونبهنا الله سبحانه وتعالى على عظم شأن هذه المسأله بقوله ﴿ ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمه ﴾ (الحاديه عشره) آيه سوره النساء التي تسمى آية الحقوق العشره بدأها الله تعالى بقوله ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ (الثانيه عشره) التنبيه على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته . (الثالثه عشره) معرفه حق الله تعالى علينا . (الرابعه عشره) معرفه حق العباد عليه إذا أدوا حقه (الخامسه عشره) أن هذه المسأله لا يعرفها أكثر الصحابه (السادسه عشره) جواز كتمان العلم للمصلحه . (السابعة عشره) استحباب بشاره المسلم بما يسره (الثامنه عشره) الخوف من الاتكال على سعه رحمه الله . (التاسعه عشره) قول المسئول عما لا يعلم : الله ورسوله أعلم . (العشرون) جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض . (الحاديه والعشرون) تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار مع الأردف . (الثانيه والعشرون) جواز الإردف على الدابه . (الثالثه والعشرون) فضيله معاذ بن جبل . (الرابعه والعشرون) عظم شأن هذه المسأله .

٢- باب
فضل التوحيد و ما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ الآية. عن عباده بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» أخرجاه. ولهما من حديث عتبان «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله». وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

قوله (باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب) لما ذكر التوحيد ناسب أن يذكر فضله ترغيباً فيه وتحذيراً من ضده. - أي بيان فضل التوحيد وبيان تكفيره الذنوب قوله ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ الآية، عن أبي بكر أنه فسرها بالشرك فيكون الأمن من تأبيد العذاب وليس مراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله "إنما هو الشرك" أن من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام، واللبس الخلط، أي الذين وحدوا الله ولم يخلطوا توحيدهم بشرك ﴿أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾. والأمن أمنان: أمن مطلق وأمن مقيد. فالأول الأمن من العذاب وهو لمن مات على التوحيد ولم يصر على الكبائر والثاني هو من مات على التوحيد مع الإصرار على الكبائر فله الأمن من الخلود في النار نفرق بينه الأمن المطلق ومطلق الأمن، قال الحسن: لهم الأمن في الآخرة وهم مهتدون في الدنيا. قال شيخ الإسلام: ليس مراد النبي صلى الله عليه وسلم "إنما هو الشرك" أنه من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام فإن هذا مخالف الأحاديث الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر معرضون للخوف فإذا لم يحصل لهم الأمن

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال موسى: يارب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به، قال: قل يا موسى لا إله إلا الله، قال: يارب كل عبادك يقولون هذا قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن - غيري - والأرضين السبع

القائم والاهتداء القائم إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم من غير عذاب يحصل لهم بل معهم أصل الاهتداء إلى الصراط وأصل نعمة الله عليهم ولابد لهم من دخول الجنة

قوله «من شهد أن لا إله إلا الله» أي: من تكلم بهذه الكلمة عارفاً لمعناها قائلاً بمقتضاها باطناً وظاهراً «وأن محمداً عبده ورسوله» أي وشهد أن محمداً عبده مملوك ليس له من الربوبية والألوهية شيء إنما هو عبد مقرب ورسول لا يكذب «وأن عيسى عبد الله ورسوله» خلافاً لما تعتقد النصارى «أنه الله» أو «ابن الله» أو «ثالث ثلاثة» وخلاف ما تعتقده اليهود أنه ولد بغي فلا يصح إسلام أحد علم ما كانوا يقولونه حتى يتبرأ منها جميعاً ويعتقد ما قال الله فيه أنه عبد الله ورسوله «وكلمته ألقاها إلى مريم» قال ابن كثير خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل إلى مريم فنفخ من روحه بأمره سبحانه، فكان عيسى بإذن الله «وروح منه» أي وروح من الأرواح التي خلقها الله، قوله «وشهد أن الجنة حق» أي وشهد أن الجنة التي ذكرها الله حق «والنار حق» أي كما نبه لذلك فيما قوله «أدخله الله الجنة» الخ. في رواية «أي أبواب الجنة الثمانية شاء» قوله «ولها صحة حديث عتبان» قال شيخ الإسلام وغيره هذه الأحاديث إنما هي لمن قالها خالصاً من قلبه ومات عليها كما جاءت مقيدة. قال: فإنه قال لا إله إلا الله خلص بها من الشرك الأكبر

وفي الحديث دليل على أنه لا يكفي في الإيمان النطق دون الاعتقاد وبالعكس وفيه دليل على تحريم النار على أهل التوحيد الكامل. قوله «وعن أبي سعيد» الخ قوله «أذكرك» أي أمشي عليك وأتوسل إليك به. قوله «لكل عبادك» الخ أي إني أريد شيئاً تخصني به. قوله «وعامرهن» أي وما فيهما من العمار «والسموات والأرضين كنّ

في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله » رواه ابن حبان والحاكم وصححه وللترمذي وحسنه عن أنس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله تعالى : يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني لا تشرك به شيئًا ، لأتيتك بقرابها مغفرة »

فيه مسائل : (الأولى) سعة فضل الله . (الثانية) كثرة ثواب التوحيد عند الله . (الثالثة) تكفيره مع ذلك للذنوب . (الرابعة) تفسير الآية التي في سورة الأنعام . (الخامسة) تأمل الخمس اللواتي في حديث عباده . (السادسة) أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول لا إله إلا الله وتبين لك خطأ المغرورين (السابعة) التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان

خلقة لخصمتين لا إله إلا الله . قوله « مالت » أي رجحت بها ذلك لما اشتملت عليه من توحيد الله الذي هو أفضل الأعمال وأساس الملة والدين ، ممن قالها بإخلاص وبيقين وعمل بمقتضاها والتزم بها وحقوقها واستقام على ذلك فهذه الحسنة لا يوازنها شيء ، كما قال تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) الآية . قوله « لو أتيتني » الخ قال به رجب من جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة فإنه كمل توحيد العبد وإخلاصه لله تعالى فيه وقام بشروطه بقلبه ولسانه أوجب ذلك مغفرة ما قد سلف من الذنوب ، وفي الحديث كثرة ثواب التوحيد ، وفيه أنك إذا عرفت حديث أنس ، وقوله من حديث عتبان « يبتغي بذلك وجه الله » أنه ترك الشرك لا قولها باللسان .

(الثامنة) كون الأنبياء يجوز عليهم التنبيه على فضل لا إله إلا الله. (التاسعة) التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أنه كثيراً ممن يقولها يخف ميزانه (العاشرة) الدليل على أن الأرضين سبع كالسموات. (الحادية عشرة) أن لهن سكاناً. (الثانية عشرة) إثبات الصفات خلافاً للأشعرية (الثالثة عشرة) أنك إذا عرفت حديث أنس وعرفت ما قوله في حديث عتبان: «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» أدركت الشرك ليس قولها باللسان. (الرابعة عشرة) تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوليه. (الخامسة عشرة) معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله. (السادسة عشرة) معرفة كونه روحاً منه. (السابعة عشرة) معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار. (الثامنة عشرة) معرفة قوله «على ما كان من العمل». (التاسعة عشرة) معرفة الميزان له كفتان (العشرون) معرفة ذكر الوجه.

٣ باب
من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين﴾
وقال ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾.

عن حصين بن عبد الرحمن قال: «كنت عند سعيد بن جبير فقال: أيكم رأى الكوكب الذي انقضّ البارحة؟ فقلت: أنا.

قوله (باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب) تحقيقه: تخليصه من شوائب الشرك والبدع والمعاصي. قوله «إن إبراهيم» الآية وصف إبراهيم بهذه الصفات التي هي الغاية في تحقيق التوحيد الأولى: أنه كان أمة أي قدوة أو إماماً معلماً للخير الثانية: قانتا لله قال شيخ الإسلام القنوت دوام الطاعة. الثالثة أنه كان حنيفاً قال ابن القيم: المقبل على الله المعرض عن كل ما سواه. الرابعة أنه ما كان من المشركين لصحة إخلاصه وكمال صدقه وبعده عن الشرك. قلت يوضحه قوله «قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم» الآية وذكر تعالى عن خليله أنه قال «وأعتزلكم» إلى قوله «فلما اعتزلهم» الآية. فهذا هو تحقيق التوحيد وهو البراءة من الشرك وأهله، واعتزالهم: الكفر بهم وعداوتهم وبغضهم. قوله: والذين هم بربهم لا يشركون وصف الموصوفين السابقين إلى الجنة فأثنى عليهم بالصفات التي أعظمها أنهم بربهم لا يشركون «ولما كان المؤمن قد يعرض له ما يقدح ما يقدح في إسلامه من شرك جلي أو خفي نفى عنهم ذلك وهذا هو تحقيق التوحيد. قوله «انقضّ»: أي سقط: قوله «البارحة» يقال لما قبل الزوال الليلة وبعده البارحة. قوله «ولم أكن في الصلاة»

ثم قلت أما إني لم أكن في صلاة، ولكني لدغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت
قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبي، قال: وما حدثكم؟
قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: لا رقية إلا من عين
أو حمة، قال: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع. ولكن حدثنا ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عرضت على الأمم، فرأيت
النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد
إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه
فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً
يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. ثم نهض فدخل منزله.
فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم. وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام

فيه فضل السلف وبعدهم عن الرياء. قوله «فما حملك على ذلك» ؟
فيه طلب الحجة على صحة المذهب. قوله «لا رقية» الخ قيل
لا رقية أشفى وأولى من رقية العين والحمة. وقد رقى النبي
صلى الله عليه وسلم ورقي. قوله «قد أحسن من انتهى إلى ما سمع»
أي أخذ بما بلغه من العلم. قوله «ولكن حدثنا ابن عباس» الخ.

قوله «عرضت علي الأمم» قيل ليلة الإسراء. قوله «فرأيت النبي ومعه
الرهط» الخ فيه الرد على من احتج بالكثرة. قوله «إذ رفع لي سواد
عظيم فقيل لي هذا موسى وقومه» أي أتباعه على دينه.
قوله «سبعون ألفاً» الخ في حديث «فاستزدت ربي فزادني»
مع كل ألف سبعون ألفاً. قوله «فخاض الناس في أولئك»

فلم يتركوا بالله شيئاً وذكروا أشياء، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال: «هم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون» فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «أنت منهم» ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم فقال: «سبقك بها عكاشة».

فيه مسائل (الأولى) معرفة مراتب الناس في التوحيد. (الثانية) ما معنى تحقيقه (الثالثة) ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يكن من المشركين. (الرابعة) ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك. (الخامسة) كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد. (السادسة) كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل.

قوله «هم الذين لا يسترقون» أي لا يسألون غيرهم أن يرقاهم. «ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون» قال ابن القيم: تضمنت أحاديث الكي أربعة أنواع: أحدها - فعله، والثاني عدم محبته، والثالث: الثناء على من تركه والرابع النهي عنه، ولا تعارض بينها بحمد الله فإن فعله يدل على جوازه وعدم محبته لا يدل على المنع منه، والثناء على تاركه، فيدل على أن تركه أولى وأفضل. وأما النهي عنه فعلى سبيل الاختيار والكراهة.

قوله «ولا يتطيرون» أي لا يتشاءمون بالطير ونحوها وسيأتي.

قوله «وعلى ربهم يتوكلون» ذكر الأصل الذي تفرعت عنه هذه الأفعال والخصال وهو التوكل على الله وصدق الالتجاء والاعتماد عليه بالقلب الذي هو نهاية تحقيق التوحيد، والحديث لا يدل على أنهم لا يباشرون الأسباب أصلاً وإنما المراد أنهم يتركون الأمور المكروهة توكلاً على الله كالاكتواء ولكونه سبباً مكروهاً، وأما مباشرة الأسباب والتداوي على وجه لا كراهة فيه فهذا غير قادح في التوكل. قوله «فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم» فيه طلب الدعاء من العالم. قال: «أنت منهم» وفي رواية «اللهم اجعله منهم». قوله «سبقك بها عكاشة» قيل لم يكن عند

(السابعه) عمق علم الصحابه لعرفتهم انهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل. (الثامنه) حرصهم على الخير (التاسعه) فضيله هذه الامه بكميه والكيفيه. (العاشره) فضيله اصحاب موسى عليه السلام. (الحاديه عشره) عرض الاصم عليه، عليه الصلاه والسلام.

الثانيه عشره) أن كل أمه تحشر وحدها مع نبيها. (الثالثه عشره) قله من استجاب للانبياء (الرابعه عشره) أن من لم يجبه أحد يأتي وحده. (الخامسه عشره) ثمره هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثره وعدم الزهد في القله. (السادسه عشره) الرخصه في الرقيه من العين والحمه. (السابعه عشره) عمق علم السلف لقوله: قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن كذا وكذا.

فعلم أن الحديث الاول لا يخالف الثاني (الثامنه عشره) بعد السلف عن مدح الانسان بما ليس فيه. (التاسعه عشره) قوله لا أزكي منهم أحدا علم من أعلام النبوه. (العشرون) فضيلة عكاشه. (الحاديه والعشرون) استعمال المعاريض. (الثانيه والعشرون) حسن خلقه صلى الله عليه وسلم.

الناس من الاحوال ما كان عند عكاشه فلذلك لم يجبه، إذ لو أجابه لجاز أن يطلب ذلك من كان حاضرا فيتسلسل الامر. فقد الباب بقوله ذلك قال المصنف فيه استعمال المعاريض وحسن خلقه صلى الله عليه وسلم.

٤ - باب الخوف من الشرك

وقول الله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.
وقال الخليل عليه السلام ﴿واجنبني وبني أن نعبد الأصنام﴾.
وفي الحديث «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» فسُئل عنه فقال: «الرياء».
وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من مات وهو يدعو لله ندًا دخل النار». رواه البخاري. ولمسلم عن جابر رضي الله عنه

قوله «باب الخوف من الشرك» لما كان الشرك أعظم ذنب عصى الله به لهذا رتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتب على ذنب سواه من إباحة دم أهله وعدم مغفرته إلا بالتوبة منه نبه بهذه الترجمة أنه ينبغي للمؤمن أن يخاف منه ويعرف أسبابه وأنواعه لئلا يقع فيه.
قوله «إن الله لا يغفر» الآية: أي لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به. ويغفر ما دون ذلك أي من الذنوب لمن يشاء قلت: فتبين أن الشرك أعظم الذنوب وهذا يوجب شدة الخوف من هذا الذنب الذي هذا شأنه عند الله لأنه أقبح الذنوب، وأظلم الظلم، إذ مضمونه تنقيص رب العالمين، وصرف خالص حقه لغيره. قوله «واجنبني وبني أن نعبد الأصنام» أي واجعلني وبني في جانب من عبادة الأصنام، وعابد لله لأنه أكثر الناس فتوابط كما قال إبراهيم عليه السلام «رب إنهن أضللن كثيرًا من الناس». قال التيمي: وهو يأمن البلاء بعد إبراهيم. فهذا يوجب الخوف من الشرك. قوله «أخوف» الخ. هذا من شفقته صلى الله عليه وسلم على أمته فإذا كان الشرك الأصغر مخوفًا على الصحابة مع كمال علمهم وقوة إيمانهم فكيف لا يخافه ـــــ من هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب. قوله «من مات وهو يدعو لله ندًا» الخ أي يجعل لله ندًا في العبادة. يدعوه ويسأله ويستغيث به دخل النار. واعلم أنه اتخاذ الند على قسمين الأول: أنه يجعل لله شريكًا في أنواع العبادة أو بعضها وهو شرك أكبر

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار».

فيه مسائل: (الأولى) الخوف من الشرك. (الثانية) الرياء من الشرك. (الثالثة) أنه من الشرك الأصغر (الرابعة) أنه أخوف مما يخاف منه على الصالحين. (الخامسة) قرب الجنة والنار. (السادسة) الجمع بين قرينتي حديث واحد. (السابعة) أنه من لقي لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ولو كان من لطبقة الناس. (الثامنة) المسألة العظيمة سؤال الخليل له وتنبيه وقاية عباده الأصنام. (التاسعة) اعتباره بحال الأكثر لقوله (رب إنهن أضللن كثيراً من الناس). (العاشرة) فيه تفسير «لا إله إلا الله» كما ذكره البخاري (الحادية عشرة) فضيلة من سلم من الشرك.

والثاني: ما كان من أنواع الأصغر كقول الرجل ما شاء الله وشئت ولولا الله وأنت ويسير الرياء. قوله «من لقي الله لا يشرك به» إلخ. قال القرطبي: أي من لم يتخذ معه شريكاً في الإلهية ولا في الخلق ولا في العبادة. ومن المعلوم من الشرع المجمع عليه عند أهل السنة أن من مات على ذلك لا بد له من دخول الجنة وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع من العذاب والخوف، وأن من مات على الشرك لا يدخل الجنة ويخلد في النار أبد الآباد، وهذا معلوم من الدين مجمع عليه من المسلمين.

وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع به إذا لم يكن صاحب كبيرة مات مصراً عليها دخل الجنة أولاً، وإن كان صاحب كبيرة مات مصراً عليها فهو تحت المشيئة فإما عفا عنه دخل الجنة أولاً، وإلا عذب في النار ثم أخرج إلى الجنة.

٥ ـ باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله .

وقول الله تعالى : ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : « إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ـ وفي رواية : إلى أن يوحدوا الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة توخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم

قوله « باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله » لما ذكر التوحيد وفضله وما يوجب الخوف من ضده نبه بهذه الترجمة على أنه لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصر على نفسه بل يجب عليه أن يدعو إلى الله ، كما هو سبيل المرسلين وأتباعهم ، قوله « قل هذه سبيلي » الآية . قال ابن جرير : قل يا محمد هذه الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها صد الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون ما سواه من الآلهة ، « سبيلي » طريقتي ، يعني أدعو إلى الله على بصيرة من ذلك ويقين وعلم بما أدعو إليه أنا ومن اتبعني أيضاً منه أيضاً ، وقوله « وما أنا من المشركين » يقول وأنا بريء من أهل الشرك ليست منهم ولا هم مني . قوله « تأتي قوماً من أهل الكتاب » وإنما نبههم ليستعد لمناظرتهم ـــــ قوله « فليكن أول » الخ . فيه دليل على أن التوحيد أول واجب افترض ولهذا كان أول ما دعت الرسل إليه . قوله « خمس صلوات » الخ فيه دليل على أن الصلاة أعظم واجب بعد الشهادتين ، قوله « افترض عليهم صدقة » الخ فيه أن الزكاة أوجب الأركان بعد الصلوات وأنها توخذ من الأغنياء فترد على الفقراء وإنما خص الفقراء لأن حق الفقراء آكد من حق بقية الأصناف قوله « وإياك وكرائم أموالهم » هي خيار المال وأنفسه وأكثره نماءً وفيه دليل على أنه يجرم أخذ خيار المال ، ويحرم على صاحب المال إخراج شرار المال بل منه أو وساطه الوسط فإن طابت نفسه بالكريمة جاز . قوله « واتق دعوة المظلوم » الخ أي اجعل بينك وبينه وقاية بالعدل وترك الظلم ، وفيه التحذير من جميع أنواع الظلم .

فإنه ليس بيدك ولا بيد الله حجاب » أخرجاه . ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فبات الناس يدوكون ليلتهم ، أيهم يعطاها . فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجوا أن يعطاها ، فقال : « أين علي بن أبي طالب ؟ » فقيل هو يشتكي عينيه ، فأرسلوا إليه فأتي به فبصق في عينيه ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال « انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم . يدوكون : أي يخوضون . فيه مسائل : (الأولى) أمر الدعوة إلى الله

قوله « ليس بيدك ولا بيد الله حجاب » أي لا تحجب عن الله . قوله « لأعطين الراية » الخ هو العلم الذي يتخذ في الحرب . قوله « يحب الله » الخ . قال شيخ الإسلام : ليس هذا الوصف مختص بعلي ، ولا بالأئمة بل الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي يحب الله ورسوله . قوله : « يفتح الله على يديه » الخ فيه صريح البشارة فهو علم من أعلام النبوة . قوله « فبات » الخ أي من يد فرط إليه ، وفيه حرص الصحابة على الخير . قوله « فقيل هو يشتكي عينيه » أي من الرمد . قوله « فبصق » أي تفل . قوله « فدعى له » خبره أي عوفي في الحال كأن لم يكن به وجع من رمد ولا ضعف نصر . قوله « انفذ » أي امض على رسلك ، وعلى رسلك » على رفقك من غير عجلة وساحتهم فناء أرضهم وهو ما حولها . قوله « ثم ادعهم إلى الإسلام » الذي هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة وترك الشرك وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ومن هذا الوجه طابق الحديث الترجمة . قوله « وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه » أي في الإسلام ، أي إن أجابوك فأخبرهم بما يجب عليهم من حقوق الله التي لا بد من فعلها كالصلاة والزكاة . أنهم إذا أجابوك إلى الإسلام الذي هو التوحيد فأخبرهم بعد ذلك بما يجب عليهم من حق الله تعالى في الإسلام من الصلاة والزكاة والصيام والحج وغير ذلك من شرائع الإسلام

طريق من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم (الثانية) التنبيه على الإخلاص لأنه كثيراً من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه. (الثالثة) أن البصيرة من الفرائض. (الرابعة) سرد دلائل حسن التوحيد كونه تنزيهاً لله تعالى عن السبب. (الخامسة) أن سبق الشرك كونه مسبة لله. (السادسة) وهي من أهم أبواب التسليم عند المؤمنين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك. (السابعة) كون التوحيد أول واجب (الثامنة) أنه يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة. (التاسعة) أن معنى أن يوحدوا الله) معنى شهادة أن لا إله إلا الله. (العاشرة) أن الأسامي قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها أو يعرفها ولا يعمل بها. (الحادية عشرة) التنبيه على التعليم بالتدريج. (الثانية عشرة) البداءة بالأهم فالأهم (الثالثة عشرة) : مصرف الزكاة. (الرابعة عشرة) كشف العالم الشبهة عن المتعلم. (الخامسة عشرة) النهي عن كرائم الأموال. (السادسة عشرة) اتقاء دعوة المظلوم. (السابعة عشرة) الإخبار بأنها لا تحجب. (الثامنة عشرة) من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء (التاسعة عشرة) : قوله (لأعطين الراية) الخ. علم من أعلام النبوة. (العشرون) فضله في عينيه علم من أعلام رضاه. (الحادية والعشرون) فضيلة على رضي الله عنه (الثانية والعشرون) فضل الصحابة في دوكهم تلك الليلة وتعليمهم من بشارة الفتح (الثالثة والعشرون

فإنه أجابوا لذلك [illegible] فقد أجابوا للإسلام، وإنما امتنعوا عن شيء من ذلك فالقتال إنما هو لحاله. فدل على أن النطق بالشهادتين [illegible] دليل على نقصه

لأنه [illegible] قوله (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً) أخذ للعلم بحمر النعم أي خير لك من الإبل الحمر وهي أنفس أموال العرب قال النووي

الإجابة بالقدر المحصول لمن لم يسع لها وشرع عن سعي . (الرابعة والعشرون) الأدب في قوله رد على رسله . (الخامسة والعشرون) : الدعوة إلى الإسلام قبل القتال . (السادسة والعشرون) : أنه مشروع لمن دعي إلى ذلك وقتلوا . (السابعة والعشرون) الدعوة بالحكمة لقوله (أخبرهم بما يجب) . (الثامنة والعشرون) تعريفه بحقوق الإسلام . (التاسعة والعشرون) ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد . (الثلاثون) الحلف على الفتيا .

٦ـ باب
تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى : ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾ الآية وقوله : ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون . إلا الذي فطرني﴾ الآية وقوله تعالى : ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ الآية .

(باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله) العطف لتغاير اللفظ . والا فالمعنى واحد . بين رحمه الله في هذا الباب أنه ليس لمسلم معنى له أو قول له أو عمل له كما يظنه الجاهلون الذين يظنون أن غاية التحقيق فيه هو النطق بكلمة الشهادة من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني ، والجاهل يظن أن معنى لا إله إلا الله الخالق المتفرد بالملك وهذا ليس هو المراد بالتوحيد . بل التوحيد اسم لمعنى عظيم وحاصله هو البراءة من عبادة كل ما سوى الله والإقبال بالقلب والعبادة على الله وهذا هو معنى الكفر بالطاغوت وهو معنى لا إله إلا الله ، والآيات في هذا كثيرة . فبين أن معنى لا إله إلا الله هو البراءة من عبادة ما سوى الله من الشفعاء والأنداد وإفراد الله بالعبادة قوله ﴿أولئك الذين يدعون﴾ الآية . يتبين معنى هذه الآية بذكر ما قبلها وهو قوله تعالى ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا﴾

قال ابن كثير يقول الله تعالى: قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم من دونه من الأنداد وارغبوا إليهم فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم أي بالكلية ولا تحويله من حال إلى حال ولا يقولون إن غيركم فإنه الذي يقدر على ذلك هو الله سبحانه وحده لا شريك له. وفي التفسير المنسوب إلى الطبري المحقق قل للمشركين يدعون أصنامهم دعاء استسقاء فلا يملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلا إلى غيرهم «أولئك الذين يدعون» الملائكة المعبودة لهم يبتغون إلى طلب القربة إلى الله فيرجون رحمته ويخافون عذابه قال شيخ الإسلام في الآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوا وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة أقربهم يرجو رحمته ويخاف عذابه فقد نهى الله تعالى عن دعائهم وبين أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله لا برفعونه بالكلية ويحولونه من موضع إلى موضع كتغير حقته أو قدره فتبين أن معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله هو ترك ما عليه المشركون من دعوة الصالحين والاستشفاع بهم إلى الله قوله «وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون» الآية قال ابن كثير يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وخليله أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان فقال «إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون» أي هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان وهي لا إله إلا الله جعلها في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذريته إبراهيم. قلت فتبين أن معنى لا إله إلا الله توحيد الإخلاص في العبادة له والبراءة من عبادة كل ما سواه قوله «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله» الأحبار: العلماء والرهبان: العباد. فظهر أن الآية دلت على أن من أطاع غير الله ورسوله في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحله الله فقد اتخذه ربا ومعبودا وجعله لله شريكا وذلك ينافي التوحيد

وقوله (ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله)
في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل).
فيه مسائل، وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب فيه أكبر المسائل وأهمها وهو تفسير التوحيد وتفسير الشهادة. ويبرز بأمور واضحة منها آية الإسراء

الذي هو دين الله، فكل معبود رب وكل مطاع ومتبع على غير ما شرعه الله ورسوله فقد اتخذه المطيع رباً ومعبوداً كما قال تعالى (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون)[1]
وهذا هو وجه مطابقة الآية للترجمة. قوله (وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب) قلت فيه تبيين التوحيد وتوضيح معنى لا إله إلا الله. وفيه أيضاً بيان أشياء كثيرة من الشرك الأكبر والأصغر وما يوصل إلى ذلك من الغلو والبدع بافتفائه ما تركه من مضمون لا إله إلا الله فمن عرف ذلك وتحققه تبين له معنى لا إله إلا الله وما دلت عليه من الإخلاص ونفي الشرك وبعدها يتبين الأشياء فبمعرفة الأصغر من الشرك يعرف ما هو أعظم منه من الأكبر المنافي للتوحيد أما الأصغر فإنه ينافي كماله، من اجتنبه فهو الموحد حقاً. وبمعرفته وسائل الشرك والنهي عنه لتجتنب يعرف الغايات التي اجتناب ذلك كله مستلزم التوحيد والإخلاص
قوله (ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً) الآية تدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً وهم به خالدون في الإسلام. قلت: مراده أن معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله هو إفراد الله بأصل الحب الذي يستلزم إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له
قوله (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب) الآية المراد بالظلم هنا الشرك. فمن أحب لله وحده وأحب فيه وله فهو مخلص، ومن أحب وأحب معه غيره فهو مشرك وهذا مفهوم لبيان أن لا إله إلا الله هو المألوه الذي تألهه القلوب بالحب وغيرها من أنواع العبادة، قال شيخ الإسلام فمن يرغب إلى غير الله في قضاء

---

(١) سورة الأنعام ١٢١

بيه منها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، فيفيد بيان انه هذا هو الشرك الأكبر. ومنها آية براءه بيه فيها ان اهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، وبينه انهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهًا واحدًا ... الى تفسيرها الذي لا اشكال فيه طاعه العلماء والعباد في غير المعصيه، لا دعاؤهم إياهم. ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار: إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني ... فاستثنى الله المعبودين ربه، وذكر سبحانه ان هذه البراءه وهذه الموالاه هي شهاده ان لا إله إلا الله فقال: وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ... ومنها آيه البقره في الكفار الذين قال الله فيهم: وما هم بخارجين من النار، ذكر أنهم يحبون انداده كحب الله، فدل على انهم يحبون الله حبًا عظيمًا ولم يدخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟ فكيف بمن لم يحب إلا الله وحده ولم يحب الله؟! ومنها قوله صلى الله عليه وسلم (لمن قال له:

حاجانه وتفرج كربه لزم أن يكون محبًا له ومحبته هي الأصل في قوله ومن قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، فلم يكتفي باللفظ المجرد من المعنى بل لا بد من قولها والعمل بها قال المصنف رحمه الله وهذا من اعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصمًا للدم والمال، بل ولا موقوفه معناها مع التلفظ بها بل ولا الاقرار بذلك بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أو تردد لم يحرم ماله ودمه. قلت واجمع العلماء على معنى ذلك فلا بد في العصمة من الإتيان بالتوحيد والتزام أحكامه وترك الشرك. قوله ومحاسبه على الله عز وجل أي الله سبحانه الذي يتولى حسابه فإنه كان صادقًا من قلبه جازاه وإنه كان منافقًا عذبه العذاب الأليم فأما في الدنيا فالحكم على الظاهر فمن أتى بالتوحيد والتزم شرائعه ظاهرًا وجب الكف عنه حتى يتبين منه ما يخالف ذلك قوله وشرح هذه الترجمه ما بعدها هذا الجواب ... بمعنى انه ما يأتي بعد هذا الترجمه شرح للتوحيد وشهاده ان لا إله إلا الله لأنه معنى ذلك انه لا يعبد ولا يعتقد النفع والضر إلا من الله وبعد هذا بيان لأنواع العبادات والاعتقادات التي يجب اخلاصها لله تعالى وذلك هو معنى التوحيد وشهاده ان لا إله إلا الله.

لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله » وهذا أمر عظيم عاينين معنى لا إله إلا الله . فإنه لم يحل التلفظ بها عاصماً للدم والمال بل ولا بمعرفة معناها مع التلفظ بل ولا الإقرار بذلك بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه فيا لها مسألة ما أعظمها وأجلها وبالله نستعين بيانها وأوضح وجه ما أوقطع للمنازع .

٧ باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره﴾ الآية . وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً في يده حلقة من صفر فقال ما هذه قال من الواهنة فقال : انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً) رواه أحمد بسند لا بأس به .

قوله (باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه) لرفعه قبل حصوله كأو دفعه بعده مراده هنا ابتداء المصنف تفسير التوحيد وشرطه انه لا إله إلا الله بذكر شيء من ما يضاد ذلك من أنواع الشرك الأصغر والأكبر فإن الضد لا يعرف إلا بضده فبدأ بالأصغر الاعتقادي إنتقالاً من الأدنى إلى الأعلى فقال : وقول الله تعالى ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره﴾ الآية قال به كثير اي لا تستطيع شيئاً من الأمر (قل حسبي الله) اي الله كافي من توكل عليه وعليه يتوكل المتوكلون كما قال هود إني توكلت على الله الآية قلت حاصله ان الله تعالى أمر نبيه ان يقول للمشركين ﴿أرأيتم﴾ اي أخبروني عما تدعون من دون الله أي تعبدونهم وتسألونهم من الأنداد والأصنام والآلهة إن أراد بي الله

بضر اي بمرض او فقر او بلاء او شدة هل هن كاشفات ضره اي لا يقدرون على ذلك اصلاً او اراد بي برحمة اي صحة وعافية وخير وكشف بلاء هل هن ممسكات رحمته قال مقاتل ما لهم فكسوا لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها وانما كانوا يعبدونها على معنى انها وسائط وشفعاء عند الله تعالى لذا أنهم يكشفون الضر ويجيبون المضطر فهم يعلمون انه ذلك لله وحده كما قال تعالى «ثم إذا مسكم الضر فاليه تجأرون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون» وقد دخل في ذلك كل من دعا من دون الله من الملائكة والانبياء والصالحين، وليس الحلقة والحفيظ لرفع البلاء او دفعه وهذا وجه استدلال المصنف بالآيات، وقد كانت الترجمة في المثل الاصغر فإن السلف يستدلون بما نزل في الاكبر على الاصغر كما استدل حذيفة وابن عباس قوله الا من معين الخ قوله «ما هذا» يحتمل ان الاستفهام عن سبب التبسط، قوله «وضرب الواحدة» عرفي يأخذ بالمنكب او في اليد كالرد قوله «وانتزع» الخ النزع الجذب بقوة، أمره بطرحها عنه واخبره انها لا تنفعه بل تضره وهذا ان الله يكون عقوبة له على شركه لأنه وضع الدفع الواهنة معوقة بنقيض مقصوده. قوله «لو مت» الخ أي

ذات النحل ٥٢، ٥٤

ولعبد عقبة بن عامر مرفوعاً «من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له». وفي رواية «من تعلق تميمة فقد أشرك».
ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون».

«فيه مسائل»

(الأولى): التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك (الثانية): أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح. فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر (الثالثة): أنه لم يعذر بالجهالة (الرابعة): أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر، لقوله «لا تزيدك إلا وهناً». (الخامسة): الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك. (السادسة): التصريح بأنه من تعلق تميمة فقد أشرك. (السابعة): أنه تعليق الخيط من الحمى ونحو ذلك. (الثامنة): تلاوة حذيفة دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر، كما ذكره ابن عباس في البقرة. (العاشرة): أن تعليق الودع عند العين من ذلك. (الحادية عشرة): الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له، أي ترك الله له.

لأنه مشرك، والحالة هذه. والفلاح: الفوز والظفر. قوله عن عقبة بن عامر: «ومن تعلق تميمة» الخ. وهذا دعاء عليه وفيه وعيد شديد لمن فعل ذلك فإنه مع كونه مشركاً فقد دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم بنقيض مقصوده.
قوله «من تعلق تميمة فقد أشرك» قال ابن عبد البر: «الاعتقاد الذي علقت لأجله العين فقد ظن أنها ترد القدر واعتقاد ذلك شرك».
قوله «إن حذيفة» الخ دخل حذيفة على مريض يعوده فلمس عضده فقال: «ما هذا؟ قال شيء رقي لي فيه، فقطعه وقال: لو مت وهي عليك فما صليت عليك». فيه إزالة المنكر باليد بغير إذن الفاعل، وإذا كان يظن أنه الفاعل يزيله ولم يبح إتلاف الآت المنكر واللهو جائز، وإذا لم يأذن صاحبه. قوله «وتلا قوله تعالى ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾»

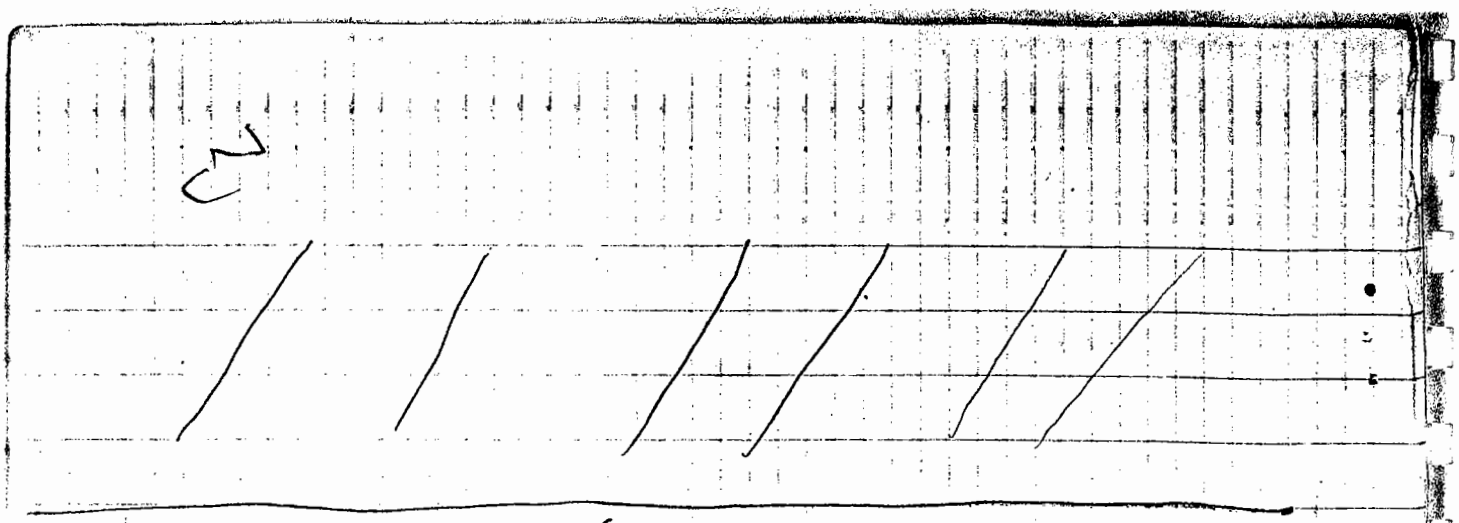

استدل حذيفة على ان تعليمه الطفل ونحوه محاذرة شرك اي اصغر كما تقدم في الحديث، فيه استدلال بما نزل من الاكبر على الاصغر ومعنى الآية: أن الله اخبر عن المشركين انهم يعترفون بتوحيد الربوبية اي بوجوده وانه الخالق الرازق المحي المميت ثم مع ذلك يشركون به في عبادته

قوله

٨- باب ما جاء في الرقى والتمائم

في الصحيحِ عن أبي بَشيرٍ الأنصاري رضي الله عنه : « أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، فأرسل رسولاً أن لا يَبقَيَنَّ في رقبةِ بعيرٍ قلادةٌ من وَتَرٍ ، أو قلادة إلا قُطِعَتْ » . وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الرُّقَى والتَّمائمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ » رواه أحمد وأبو داودَ .

قوله (باب الرقى والتمائم) أي في حكمها ولما كان الرقى على ثلاثة أقسام قسم يجوز وقسم في جوازه خلاف لم يجزم المصنف بكونها من الشرك لأنه في ذلك تفصيل. بخلاف لبس الحلقة والخيط فإنه ذلك شرك. قوله (قلادة من وتر) أحد الوتار القوس (أو قلادة) شك الراوي — ولأبي داود (أو لا قلادة) بغير شك والأولى أصح لاتفاق الشيخين عليها ولرخصته في القلائد. إلا الأوتار كما روى ابن داود (اربطوا الخيل وقلدوها ولا تقلدوها بالأوتار) قال أبو عبيد القاسم كانوا يقلدون الإبل الأوتار لئلا تصيبها العين فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بإزالتها إعلاماً لهم بأن الأوتار لا ترد شيئاً فعلى هذا يكون تقليد الإبل وغيرها الأوتار وما في معناها لهذا المعنى حراماً بل شركاً لأنه من تعليق التمائم المحرمة. قوله (وإن الرقى) الخ قال المصنف رحمه الله الرقى هي التي تسمى العزائم الخ يشير إلى أن الرقى المرخص بكونها شركاً هي التي يستعان فيها بغير ما إذا لم يذكر فيها إلا أسماء الله وصفاته وآياته والمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم فهذا حسن جائز أو مستحب . قوله (فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمة كما تقدم و

وعن عبد الله بن عُكَيْمٍ مرفوعًا: «مَن تعلَّق شيئًا وُكِلَ إليه». رواه أحمد والترمذي. «التَّمائمُ»: شيءٌ يُعلَّقُ على الأولاد يتّقونَ به العَيْنَ، لكن إذا كان المُعلَّقُ من القرآن فرخّص فيه بعضُ السَّلَف، وبعضهم لم يرخِّص فيه، ويجعلُه من المنهيِّ عنه، منهم ابن مسعودٍ رضي الله عنه. و«الرُّقَى»: هي التي تسمى العزائم، وخَصَّ منها الدليل ما خلَا من الشِّرْكِ، فقد رخَّص فيه رسول الله ﷺ من العَيْن والحُمَةِ. و«التِّوَلةُ»:

هي شيءٌ يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته. وروى أحمد عن رُوَيْفِعٍ، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رُوَيْفِعُ، لعل الحياة تطول بك، فأخبِرِ الناسَ أن مَن عَقَدَ لِحْيته، أو تقلَّد وَتَرًا، أو استنجى برجيع دابَّةٍ أو عَظْمٍ، فإن

وكذا رخص في الرقى من غير هذا كما في صحيح مسلم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا. قوله «والتمائم» هي جمع تميمة وهي ما يعلق بأعناق الصبيان من حرزات وعظام لدفع العين وهذا منهي عنه لأنه لا واضع إلا الله ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله وبأسمائه وصفاته.

إعلم أن العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته فقال طائفة بجواز ذلك وهو قول عبد الله بن عمرو وقالت طائفة لا يجوز قلت هذا هو الصحيح لوجوه الأول: عموم النهي ولا مخصص للعموم. والثاني سد الذريعة فإنه يفضي إلى تعليق ما ليس كذلك. الثالث: أنه إذا علق فلا بد أن يمتهنه المعلق يحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك. قوله «والتولة» الخ قال الحافظ: بكسر المثناة وفتح الواو واللام شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر وكما سيأتي في الشرح. قوله من تعلق الخ التعلق يكون بالقلب ويكون بالفعل وبهما (وكل إليه) أي من تعلق قلبه بالله وانزل به حوائجه والتجأ إليه كفاه الله ومن تعلق بغيره أو وكله إلى رأيه

محمدًا بريءٌ منه». وعن سعيد بن جُبَير قال: «مَن قَطَعَ تَمِيمَةً مِن إنسان كان كَعَدْل رَقَبةٍ». رواه وَكيع. وله عن إبراهيم، قال: كانوا يكرهون التَّمائم كلَّها من القرآن وغيرِ القرآن.

الأولى: تفسير الرقى والتمائم.

الثانية: تفسير التولة.

الثالثة: أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء.

الرابعة: أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك.

الخامسة: أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف

وعقله وتعالجه وكله الله إلى ذلك وهذا معروف بالنصوص والتجارب
قوله «فمن عقد شيئا» قيل كانوا يفعلونه ذلك في الحروب كما نوا في الجاهلية يعقدونه لها هم وذلك من زي الاعاجم. قوله «او تقلد وترا» في عنقه لا عنق دابه او استنجى برجيع دابه او عظم أي برئ من فعله بل هو بريء من الفاعل وفعله.
قوله «من قطع تميمه» الخ فيه فضل قطع التمائم لانها شرك. قوله كانوا يكرهون التمائم كلها الخ مراده بذلك اصحاب عبد الله بن مسعود كعلقمه والاسود وابي وائل.

العلماء هل هي من ذلك أم لا ؟

السادسة : أن تعليق الأوتار على الدوابّ من العين من ذلك .

السابعة : الوعيد الشديد على من تعلّق وتراً .

الثامنة : فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان .

التاسعة : أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف ، لأن مراده أصحاب عبد الله ا بن مسعود .

٩ - باب
من تبرّكَ بشجرةٍ أو حَجرٍ ونحوهما

وقولِ الله تعالى : ﴿ أفرأيتُم اللّات والعُزّى ﴾ الآيات .

قوله « باب من تبرك بشجر او حجر او نحوهما » كسقعه وغار وعين وحجر ونحوها مما يعتقد كثير من عباد القبور وامثالهم فيه البركة ، أي ما حكمه هل هو شرك ام لا ، ومعنى تبرك اي طلب البركة ورجاءها واعتقادها قوله : وقول الله تعالى ﴿ افرأيتم اللات والعزى ﴾ الآيات كانت اللات لثقيف والعزى لقريش وبني كنانة ، ومناة لبني هلال ، وقال بعضهم كانت لهذيل وخزاعة ومعنى الآية كما قال القرطبي : انه فيه حذف تقديره افرأيتم هذه الآلهة انفعت او ضرت حتى تكون شركاء لله تعالى . قوله : ألكم الذكر وله الانثى قال ابن كثير أتجعلون له ولداً وتجعلون ولده انثى منتخباً وله لكم الذكور . قوله تلك إذاً قسمة ضيزى » اي جور وباطل فكيف تقاسمونه بكم هذه القسمة التي لو كانت بينكم لكانت جوراً وسفهاً فتنزهون انفسكم عن الاناث وتجعلونها لله تعالى قوله « ان هي إلا اسماء سميتموها انتم وابائكم » اي ما تلقاء انفسكم « ما انزل الله بها من سلطان » اي من حجة ومطابقة الآية للترجمة : ان عباد هذه الاوثان إنما كانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها والاستعانة بها والاعتماد عليها في حصول ما يرجونه منها بركتها وشفاعتها فالتبرك بقبور الصالحين كاللات ، وبالاشجار والاحجار كالعزى ومناة من جملة فعل اولئك المشركين مع تلك .

عن أبي واقِدٍ اللَّيْثيِّ قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنَيْن، ونحن حُدَثاءُ عهدٍ بكفرٍ. وللمشركين سِدْرة يعكُفون عندها ويَنُوطون بها أسلحتَهم، يقال لها ذاتُ أنواطٍ، فمررنا بسِدْرةٍ، فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذاتَ أنْواطٍ كما لهم ذاتُ أنواطٍ. فقال رسول الله ﷺ: اللهُ أكبرُ، إنها السُّنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالتْ بنُو إسرائيل لموسى: ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾ قال: إنَّكم قومٌ تجهلون ﴿لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ من كان قبلَكم». رواه الترمذيُّ وصحَّحه.

* * *

ضمن فضل مثل ذلك واعتقد في قبر أو حجر أو شجر فقد ضاهى عباد هذه الأوثان فيما كانوا يفعلونه عند هذا الشرك على انه الواقع عند هؤلاء المشركين في معبوديهم أعظم مما وقع عند أولئك والله المستعان. قوله: عن أبي واقد الخ قوله: ينوطون الخ أي يعلقونه عليها أسلحتهم قول الله اكبر تنزيه. «وإنها السُّنن» أي الطرق. قوله قلتم والذي نفسي بيده» الخ شبه مقالتهم هذه بقول بني اسرائيل بجامع انه لكل طلب أنه يجعل له ما يألهه ويعبده عند دون الله وإن اختلف اللفظان بالمعنى واحد فتغير الاسم لا يغير الحقيقة وفي هذا الحديث من الفوائد ما يفعله من يعتقد في الاشجار والقبور والاحجار من التبرك بها والعكوف عندها والذبح لها هو الشرك ولا يغتر بالعوام والطغام، ولا يستبعد كون الشرك بالله تعالى يقع في هذه الأمة فإذا كان بعض الصحابة ظنوا ذلك حتى طلبوه من النبي صلى الله عليه وسلم حتى بينه لهم انه ذلك كقول بني اسرائيل: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فكيف لا يخفى على من هو دونهم في العلم والفضل بأضعاف مضاعفة مع غلبة الجهل وعدم الفرد بآثار النبوة بل خفي عليهم عظائم الشرك في الإلهية والربوبية فأكثروا فعله واتخذوه قربة. وفيه ان الاعتبار في الاحكام المعاني لا بالاسماء ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم طلبتهم كطلبة بني اسرائيل ولم يلتفت إلى كونهم سموها ذات انواط فالمشرك مشرك وان سمى شركه ما سماه كمن يسمي دعاء الاموات والذبح لهم تعظيماً ومحبة فإنه ذلك هو الشرك وان سماه ما سماه قوله لتركبن سنن من كان قبلكم» الخ اي طريقهم وفيه علم من اعلام النبوة بحيث انه وقع كما أخبر صلى الله عليه وسلم

فيه مسائل

الاولى : تفسير آية النجم .

الثانية : معرفة صورة الامر الذي طلبوا .

الثالثة : كونهم لم يفعلوا

الرابعة : كونهم قصدوا التقرب الى الله بذلك لظنهم انه يحبه

الخامسة : انهم اذا جهلوا هذا ففيرهم أولى بالجهل .

السادسة : ان لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ماليس لغيرهم

السابعة : ان النبي ﷺ لم يعذرهم ! بل رد عليهم بقوله ، الله اكبر انها السنن لتتبعن سنن من كان قبلكم ، فغلظ الامر بهذه الثلاث .

الثامنة : الامر الكبير وهو المقصود انه اخبر ان طلبهم كطلب بني اسرائيل لما قالوا لموسى اجعل لنا الهاً .

التاسعة : ان نفي هـذا من معنى (لا اله الا الله) مع دقته وخفائه على أولئك .

العاشرة : انه حلف على الفتيا وهو لا يحلف الا لمصلحة .

الحادية عشرة : ان الشرك فيـه اكبر واصغر ، لانهم لم يرتدوا بهذا .

الثانية عشرة : قوله (ونحن حدثاء عهد بكفر) فيه ان غيرهم لايجهل ذلك .

الثالثة عشرة : التكبير عند التعجب خلافا لمن كرهه .

الرابعة عشرة : سد الذرائع .

الخامسة عشرة : النهي عن التشبه بأهل الجاهلية .

السادسة عشرة : الغضب عند التعليم .

السابعة عشرة : القاعدة الكلية . لقوله (انها السنن)

الثامنة عشرة : ان هذا علم من اعلام النبوة لكونه وقع كما اخبر

التاسعة عشرة : ان كل ماذم الله به اليهـود والنصارى في القرآن أنه لنا .

العشرون : انه مقرر عندهم ان العبادات مبناها على الامر .

فصار فيه التنبيه على مسائل القبر أما (من ربك) فواضح وأما (من نبيك) فمن أخباره بأنباء الغيب ، وأما ما دينك فمن قولهم (اجعل لنا الخ) الخ .

الحادية والعشرون : ان سنة اهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين

الثانية والعشرون : ان المنتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن ان يكون في قلبه بقية من تلك العادة ، لقـولهم (ونحن حدثاء عهد بكفر) .

١٠ (باب ماجاء في الذبح لغير الله)

وقول الله تعالى (قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له) الآية .

وقوله (فصل لربك وانحر) .

عن علي رضي الله عنه قال : « حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات : لعن الله من ذبح لغير الله، لعن الله من لعن والديه، لعن الله من آوى محدثا، لعن الله من غير منار الارض » رواه مسلم .

وعن طارق بن شهاب ان رسول الله ﷺ قال : « دخل الجنة رجل في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب قالوا كيف ذلك يارسول الله قال : مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه احد حتى يقرب له شيئاً ، فقالوا لاحدهما قرب قال ليس عندي شي اقرب قالوا له : قرب ولو ذبابا ، فقرب ذبابا ، فخلوا سبيله فدخل النار

قوله « باب ماجاء في الذبح لغير الله » اي من الوعيد وانه شرك ، وقوله وقول الله تعالى « قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له » الآية قال مجاهد النسك الذبح في الحج والعمرة ومنه سعيد : ذبحي . أي ما آتيه في حياتي ومما اموت عليه من الايمان والعمل الصالح . وجه مطابقة الآية للترجمة ان الله تعبد عباده بأن يتقربوا اليه بالنسك كما تعبدهم بالصلاة وغيرها من انواع العبادة فاذا تقرب الى غير الله بالذبح او غيره من انواع العبادة فقد جعل لله شريكاً في عبادته ، وهو ظاهر في قوله لا شريك له . قوله وقول الله تعالى « فصل لربك وانحر » قال شيخ الاسلام أمره الله ان يجمع بينهما كما بين العبادتين وهما الصلاة والنسك الدالة على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين الى ان قال واجل العبادات البدنية الصلاة واجل العبادات المالية النحر وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها كما عرفه ارباب القلوب الحية وما يجتمع له في النحر اذا قارنه الايمان والاخلاص مع قوة اليقين وحسن الظن أمر عجيب ، فكان صلى الله عليه وسلم كثير الصلاة كثير النحر انتهى

قوله « لعن على ابيه ابي طالب » الخ قوله « لعن الله » اللعن البعد عن مظان الرحمة وسواطرها والملعون من حقت عليه اللعنة او دعي عليه بها قال ابو السعادات اصل اللعن الطرد والابعاد من الله ومن الخلق السب والدعاء قال شيخ ما معناه ان الله سبحانه وتعالى يلعن من يستحق اللعنة بالقول

وقالوا للآخر : قرب . فقال : ماكنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه فدخل الجنة) رواه احمد .

وقال ((لعن الله الكافرين)) إلى قوله ((والصنم لعناً كبيراً))

والقرآن كلام الله تعالى أوحاه إلى جبريل وبلغه رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

قوله ((ومن ذبح لغير الله)) قال شيخ الإسلام في قوله تعالى ((وما أهل به لغير الله)) ظاهره أنه ما ذبح لغير الله مثل أن يقول هذا ذبيحة لكذا وإذا كان هذا المقصود فواو لفظ به أو لم يلفظ وتحريم هذا فيه أظهر من تحريم ما ذبح للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه ، وعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقرباً به إليه يحرم وإن قال فيه باسم الله ومن هذا الباب ما يفعله الجهال من الذبح للجن ولهذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه نهى عن ذبائح الجن قال الزمخشري : كانوا إذا اشتروا داراً أو بنوها أو استخرجوا عيناً ذبحوا ذبيحة خوفاً أن تصيبهم الجن فأضيفت إليهم الذبائح لذلك . وقوله ((لعن الله من لعن والديه)) أي أباه وأمه وإن علوا وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا : يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه)) فإذا كان هذا حال المتسبب فما ظنك بالمباشر .

قوله ((لعن الله من آوى محدثاً)) قال ابن الأثير المحدثات يروى بكسر الدال وبفتحها على الفاعل والمفعول فعلى الكسر من تصرف جانياً ، وبالفتح هو الأمر المبتدع نفسه ويكون المعنى الإيواء فيه الرضا به فإنه إذا رضي بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه . وقوله ((لعن الله من غير منار الأرض)) علامات حدودها بأن يغيرها أو يؤخرها . وقال صلى الله عليه وسلم من ظلم شبراً من الأرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين . وقال النووي اتفق العلماء على تحريم اللعن وهو في اللغة الطرد والإبعاد وفي الشرع الإبعاد عن رحمة الله .

ولا يجوز أن يلعن عن رحمة الله من لا يعرف حاله وخاتمة أمره معرفة قطعية فلهذا قالوا لا يجوز لعن أحد بعينه حياً كان أو كافراً أو دابة إلا من علمنا بنص الشرع أنه مات على الكفر كأبي جهل وإبليس وأما اللعن بالوصف فليس بحرام كلعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة وآكل الربا

(فيه مسائل)

الاولى : تفسير (قل ان صلاتي ونسكي)

الثانية : تفسير (فصل لربك وانحر)

الثالثة : البداءة بلعنة من ذبح لغير الله .

الرابعة : لعن من لعن والديه ، ومنه ان تلعن والدي الرجل فيلعن والديك .

الخامسة : لعن من آوى محدثا . وهو الرجل يحدث شيئا يجب فيه حق الله ، فيلتجيء الى من يجيره من ذلك .

السادسة : لعن من غير منار الارض، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك من الارض . فتغيرها بتقديم او تأخير .

السابعة : الفرق بين لعن المعين ولعن اهل المعاصي على سبيل العموم .

الثامنة : هذه القصة العظيمة ، وهي قصة الذباب .

التاسعة : كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده بل فعله تخلصا من شرهم .

العاشرة : معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين ، كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم ، مع كونهم لم يطلبوا الا العمل الظاهر .

الحادية عشرة : ان الذي دخل النار مسلم، لانه لو كان كافرا لم يقل دخل النار في ذباب .

الثانية عشرة : فيه شاهد للحديث الصحيح « الجنة أقرب الى احدكم من شراك نعله ، والنار مثل ذلك » .

الثالثة عشرة : معرفة ان عمل القلب هو المقصود الاعظم حتى عند عبدة الاوثان .

وموكله والمصورين والكاتبين والمناقشين وصبر غير منار الارض وغير ما جاءت به النصوص بالدلالة على الاوصاف لا على الاعيان قوله ﷺ وعذب امرأة بسبب قط الخ قوله لا يدخل الجنة رجل في ذباب أي من أجله قالوا وكيف ذلك يا رسول الله كأنهم تعالوا ذلك وتعجبوا منه فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم فاستبصر هذا الامر الحقير عندهم عظيماً يستحق هذا عليه الجنة ويستحق الآخر عليه النار قوله ﷺ رجلان على قوم لهم صنم الخ قوله لا يقرب ولو ذبابا فقربوا ذبابا فخلوا سبيله فدخل النار في هذا بيان عظمة الشرك ولو في شيء قليل وانه يوجب النار، وفي هذا الحديث التحذير من الوقوع في الشرك وانه الانسان قد يقع فيه وهو لا يدري انه من الشرك الذي يوجب النار وفيه انه دخل النار بسبب لم يقصد وانما فعله تخلصا من شر اهل الصنم

وفيه أن الرجل كان يقبل ذلك سلماً . قوله ((وقالوا للآخر قرب)) قال فاكتفت لا أقرب لأحد شيئاً يعبد دون الله عز وجل ففيه فضيلة التوحيد والإخلاص قال المصنف رحمه الله وفيه معرفة قدر الشرك في قلوب الموحدين كيف صبر على القتل ولم يوافقهم على طلبهم مع كونهم لم يطلبوا منه إلا العمل الظاهر .

١٩

١١ - (باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله)

وقول الله تعالى (لاتقم فيه أبداً) الآيه .

وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال « نذر رجل ان ينحر إبلا ببوانه ، فسأل النبي ﷺ فقال هل كان فيها وثن من اوثان الجاهلية يعبد ؟ قالوا : لا ، قال فهل كان فيها عيد من اعيادهم ؟ قالوا : لا. فقال رسول الله ﷺ اوف بنذرك، فانه لاوفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم »

رواه ابوداود واسناده على شرطهما .

(فيه مسائل)

الاولى : تفسير قوله (لا تقم فيه ابداً)

الثانية : ان المعصية قد تؤثر في الارض ، وكذلك الطاعة .

قوله (باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله) لما نهى عن ذبح لغير الله وكان الذبح لله قد يتفق في مكان يذبح فيه لغير الله نهى عن ذلك المكان لئلا يشابه ما يذبح لغير الله. وقول الله تعالى (لا تقم فيه أبدا) الآية. قال المفسرون لما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عند الصلاة في مسجد الضرار والأمة تتبع له في ذلك، ثم إنه تعالى حث على الصلاة في مسجد قباء الذي أسس من أول يوم وبني على التقوى وهي طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بخلاف مسجد الضرار الذي أسس على معصية الله.

وكان الذين بنوه جاؤا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قبل خروجه إلى غزوة تبوك فسألوه أن يصلي فيه، وأنهم إنما بنوه للضعفاء، وأهل العلة في الليلة الشاتية، فلما قفل نزل الوحي بخبر المسجد فبعث إليه فهدمه قبل قدومه ووجه مناسبة الآية للترجمة أنه الموضع المعد للذبح لغير الله يجب اجتناب الذبح لله كما أن هذا المسجد لما أعد لمعصية الله صار محل غضب لأجل ذلك فلا تجوز الصلاة فيه وهذا قياس صحيح. قوله «عن ثابت» الخ قوله: «ببوانه» قيل موضع بمحل اسفل مكة دون يلملم. وقيل هضبة وراء ينبع قوله «هل كان فيها وثن» فيه المنع من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان وثن ولو بعد زواله ذكره المصنف. قال وهل يذبح عند من اعيادهم؟ والرابع الاجتماع المعتاد من اجتماع اهل الجاهلية وفيه من النذر بهذه وترك مشابهة المشركين والمنع مما هو وسيلة إلى ذلك. قوله «وفاء بنذرك» الخ وهذا يدل على ان الذبح لله في المكان الذي يذبح فيه المشركون لغير الله أي في اعيادهم معصية. قوله «فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله»

الثالثة : رد المسألة المشكلة الى المسألة البينة لزول الاشكال .
الرابعة : استفصال المفتي اذا احتاج الى ذلك .
الخامسة : ان تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به اذا خلا من الموانع .
السادسة : المنع منه اذا كان فيه وثن من اوثان الجاهلية ولو بعد زواله
السابعة : المنع منه اذا كان فيه عيد من اعيادهم ولو بعد زواله
الثامنة : انه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة لانه نذر معصية
التاسعة : الحذر من مشابهة المشركين في اعيادهم ، ولو لم يقصده
العاشرة : لا نذر في معصية .
الحادية عشرة : لا نذر لابن آدم فيما لا يملك .

دليل على انه لو هذا نذر معصية لو وجد في المكان بعض الموانع وحاكاه به نذر المعصية فلا يجوز الوفاء به باجماع العلماء . قوله «لا وفاء لما لا يملك ابن آدم» قال في شرح المصابيح يعني إذا أضاف النذر قال إن شفى الله مريضي فلله علي أن أعتق عبد فلان أو أتصدق بثوبه ونحو ذلك ، فأما إذا التزم في الذمة شيئاً لا يملكه فيصح نذره إن شفى الله مريضي فلله علي أن اعتق رقبة وهو في ذلك الحال لا يملكها ولا قيمتها فإن شفى الله مريضه ثبت ذلك في ذمته .

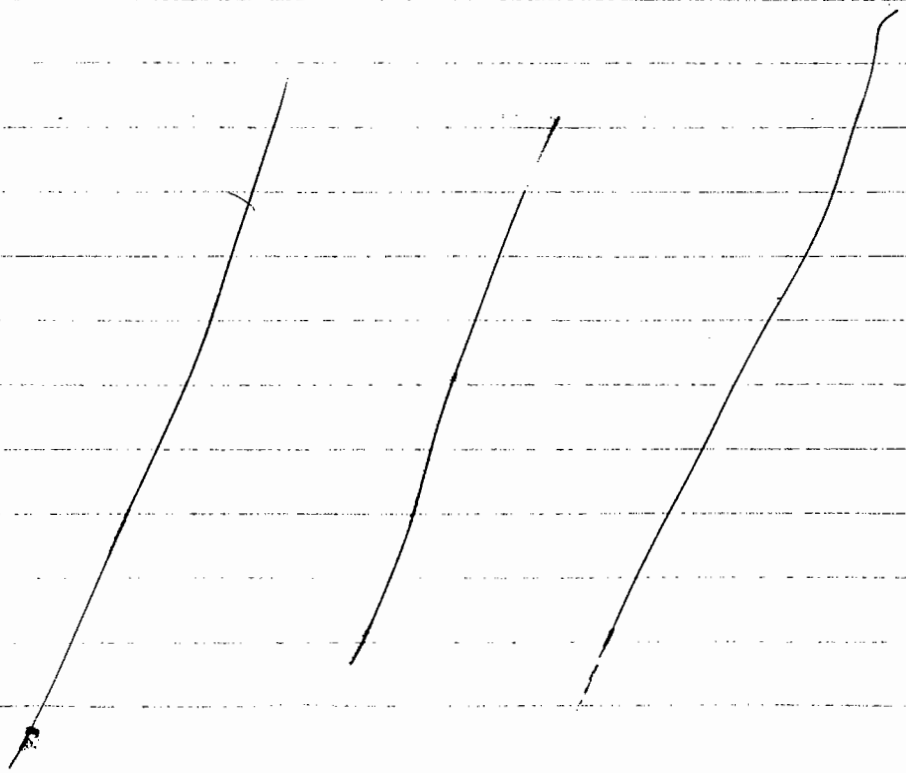

١٢ - (باب من الشرك النذر لغير الله)

وقول الله تعالى (يوفون بالنذر) .

وقوله (وما انفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه)

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله ﷺ قال:

« من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذران يعصى الله فلا يعصه »

(فيه مسائل)

الاولى : وجوب الوفاء بالنذر

الثانية : اذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه الى غيره شرك

الثالثة : ان نذر المعصية لا يجوز الوفاء به .

٤١

قوله ((باب من الشرك النذر لغير الله)) . قوله : ((يوفون بالنذر)) فالآيه دلت على وجوب الوفاء بالنذر ومدح من فعل ذلك طاعة لله ووفاء بما تقرب به إليه ووجه الدلاله على الترجمه أن الله مدح الموفين بالنذر والله تعالى لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب أو ترك محرم فمن فعل ذلك لغير الله تقربا إليه فقد أشرك . قوله : ((وما أنفقتم من نفقه أو نذرتم من نذر)) الآيه وجه الدلاله من الآيه للترجمه أن الله أخبر أنه ما أنفقناه من نفقه أو نذرناه من نذر متقربين به إليه أنه يعلمه ومجازينا عليه فدل ذلك على أنه عباده ومن صرف شيئا من العباده لغير الله فقد أشرك . قوله "من نذر أن يطيع الله فليطعه" أي فليفعل ما نذر من طاعه الله ومن نذر أن يعص الله فلا يعصه . قد أجمع العلماء على أنه لا يجوز الوفاء بنذر المعصيه وأما نذر اللجاج والغضب فهو يمين عند أحمد فيخير بين فعله أو كفاره يمين .

١٣-(باب من الشرك الاستعاذة بغير الله)

وقول الله تعالى : (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) .

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول : من نزل منزلا، فقال اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك رواه مسلم

قوله باب من الشرك الاستعاذة بغير الله تعالى الاستعاذة هي الالتجاء والاعتصام فالعائذ بالله قد هرب مما يخافه ويلوذ الى ربه واعتصم واستجار به وهي من العبادات التي امر الله بها كما قال تعالى ﴿ فاستعذ بالله ﴾ الآية وقال ﴿ قل اعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل اعوذ برب الناس ﴾ فمن صرف من هذه العبادة شيئا لغير الله فقد جعله شريكا لله في عبادته ونازع الرباني الهيته . وقوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ﴾ على قول ان الانس زادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا ، اي اثما وطغيانا وشرا ، وعلى القول الثاني بالعكس ، وزيادتهم للانس رهقا باضلالهم واغوائهم ، وذلك ان الرجل من العرب اذا أمسى في واد قفر وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفاء قومه ، ووجه الدلالة من الآية للترجمة ان الله تعالى حكى عن مؤمني الجن انهم لما تبين لهم دين الرسول صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ذكروا استياء من الشرك كانوا يعتقدونه في الجاهلية من الاستعاذة بغير الله .

وقال ملا علي قاري الحنفي : لا يجوز الاستعاذة بالجن فقد ذم الله الكافرين على ذلك وذكر الآية ، وقال : قال تعالى : (ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا) الآية ما استمتاع الانس بالجن في قضاء حوائجه وامتثال اوامره واجتنابه بشيء من المنهيات ، واستعاذة الجن بالانس تعظيمه اياهم واستعاذته به وخضوعه له . قال المصنف ويحتمل ان يكون الشيء يحصل به نفعه دنيوي لا يدل على انه ليس من الشرك . ومن قوله الى قوله :- بكلمات الله التامات شرع الله لاهل الاسلام ان يستعيذوا به بدلا عما يفعله اهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن فشرع الله للمسلمين ان يستعيذوا به وبصفاته قال القرطبي قيل معناه الكلمات التي لا يلحقها نقص ولا عيب

(فيه مسائل)

الاولى : تفسير آية الجن .

الثانية : كونه من الشرك .

الثالثة : الاستدلال على ذلك بالحديث لان العلماء يستدلون به على ان كلمات الله غير مخلوقه ، قالوا لان الاستعاذة بالمخلوق شرك

الرابعة : فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره .

الخامسة . ان كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية ، من كف شر أو جلب نفع لايدل على انه ليس من الشرك .

(باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أويدعو غيره)

وقول الله : (ولاتدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك . فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو) الاية .

كما يفهم كلام البشر قوله سبحانه ما خلق المعنى منه شركل مخلوق فيه شر لانه شركل ما خلقه الله فإنه الجنة والملائكة والنبيين ليس فيهم شر والشر يقال على شيئين على الاثم وعلى ما يفضي اليه .

١٤ - باب (من الشرك ان يستغيث بغير الله او يدعو غيره)

- قوله "باب من الشرك ان يستغيث بغير الله او يدعو غيره" قال شيخ الاسلام الاستغاثة هي طلب الغوث وهو ازالة الشدة كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون قال غيره: الفرق بين الدعاء والاستغاثة ان الاستغاثة لا تكون الا عند الكرب . قوله "أو يدعو غيره" هذا هو دعاء المسألة فيما لا يقدر عليه الله فإنه ذلك شركاً كما سيذكره المصنف

قوله: ولاتدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك) الآية قال ابن عطية معناه : قيل لي ولا تدع فهو عطف على أقم وهذا الامر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واذا كان هكذا فما أحرى امته بحذر ذلك غيره والخطاب خرج مخرج الحصر وهو عام للأمة قال ابن جرير يقول تعالى : ولاتدع يا محمد دون معبودك وخالقك شيئاً لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة ولا يضرك في دين ولا دنيا يعني بذلك الآلهة يقول : لا تعبدها راجياً نفعها ولا تخف ضرها فإنك لا تنفع ولا تضر الا فإنه فعلت فإنك إذاً من الظالمين " يقول :

وقوله : (فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه) الاية .
وقوله : (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة) الايتين .
وقوله : (امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء)
وروى الطبراني باسناده : انه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق فقال النبي ﷺ انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله

هذا التركيب بالله تعالى . قوله : « فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه » الآية أمر الله تعالى بابتغاء الرزق عنده لا عند غيره ممن لا يملك رزقا من الاوثان والاصنام وغيرها قلت وفي الآية الرد على المشركين الذين يدعون غير الله ليشفعوا لهم عنده في جلب الرزق فما ظنك بمن دعاهم انفسهم واستغاث بهم ليرزقوه وينصروه كما هو الواقع من عباد القبور « واعبدوه » أي احلصوا له العبادة وحده لا شريك له « واشكروا له » أي على ما انعم عليكم « اليه ترجعون » اي فيجازي كل عامل بعمله . قوله « ومن اظلم ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة » الآية ينفي سبحانه ان يكون أحد أضل ممن يدعو غيره واخبر انه لا يستجيب له فما طلب منه الى يوم القيامة . والآية تعم كل ما يدعى من دون الله ، ومعنى الاستفهام فيه انكار ان يكون في الضلال اكثر ممن ابلغ ضلال ممن عبد غير الله ودعاه حيث يترك دعاء السميع المجيب القادر ويدعو من دونه من لا يستجيب لهم ولا الى ان تقوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون اي لو يشعرون به بل ما شعروا بدعائهم . واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين اي جاحدين له . « أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء » يبين تعالى ان المشركين من العرب وغيرهم قد علموا أنه لا يجيب المضطر ويكشف السوء الا الله وحده فذكر ذلك سبحانه محتجا عليهم في اتخاذهم الشفعاء من دونه ولهذا قال « أإله مع الله » يعني يفعل ذلك ومن المعلوم ان المشركين كانوا يعلمون انه لا يقدر على هذه الامور غيره فتبين ان من اعتقد في غير الله انه يكشف السوء او يجيب المضطر اذا دعاه لذلك فقد اشرك شركا أكبر من شرك العرب كما هو الواقع قوله « وروى الطبراني » الخ قوله : « فانه يؤذي المؤمنين » هو عبد الله بن ابي قوله « قوموا بنا نستغيث » الخ اي لانه يقدر على كف اذاه . قوله « انه لا يستغاث بي » الخ فيه النهي

« فيه مسائل »

الاولى : أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص .

الثانية : تفسير قوله (ولاتدع من دون الله ما لاينفعك ولايضرك)

الثالثة : ان هذا هو الشرك الاكبر .

الرابعة : ان اصلح الناس لو يفعله ارضاء لغيره صار من الظالمين

الخامسة : تفسير الاية التي بعدها .

السادسة : كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفرا

السابعة : تفسير الاية الثالثة .

الثامنة : ان طلب الرزق لا ينبغي الا من الله ، كما ان الجنة لا تطلب الا منه .

التاسعة : تفسير الاية الرابعة .

العاشرة : انه لا اضل ممن دعا غير الله

الحادية عشرة انه غافل عن دعاء الداعي لايدري عنه

الثانية عشرة : ان تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له .

الثالثة عشرة : تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو

الرابعة عشرة : كفر المدعو بتلك العبادة .

الخامسة عشرة : ان هذه الامور هي سبب كونه اضل الناس

السادسة عشرة : تفسير الاية الخامسة .

السابعة عشرة : الامر العجيب وهو اقرار عبدة الاوثان بأنه لا يجيب المضطر الا الله ، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين .

الثامنة عشرة : حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد والتأدب مع الله .

بأنه لا يستغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما يقدر عليه على حياته وسد ذرائع الشرك وادبا وتواضعا لربه تعالى وتحذيرا لأمته سد وسائل الشرك في الاقوال والافعال فإذا كان هذا فيما يقدر عليه صلى الله عليه وسلم في حياته فكيف يجوز الاستغاثة به بعد وفاته وطلب منه امورا لا يقدر عليها إلا الله كما جرى على السنة كثير من الشعراء كالبوصيري والبرعي وغيرهما من الاستغاثة بمن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، فأفرض هؤلاء الذين القرآن واعتقدوا نقيضه ما دلت عليه هذه الآيات المحكمات وتبعهم على ذلك الضلال الخلق الكثير والجم الغفير فاعتقدوا الشرك بالله دينا والهدى ضلالا فإنا لله وإنا إليه راجعون فما اعظم مصيبة عمت بها البلوى فما أندر أهل التوحيد والله المستعان .

١٥ (باب قول الله تعالى)

(أيشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون، ولا يستطيعون لهم نصرا) الآية.

وقوله: (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) الآية.

وفي الصحيح عن انس قال: «شج النبي ﷺ يوم احد وكسرت رباعيته؛ فقال كيف يفلح قوم شجوا نبيهم؟ فنزلت (ليس لك من الامر شيء).

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما: انه سمع رسول الله ﷺ يقول، اذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر «اللهم العن فلانا وفلانا: بعدما يقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد» فأنزل الله: (ليس لك من الأمر شيء).

باب قول الله «أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون» الآية

قوله «أيشركون» أي لي العباد. فقال المفسرون: في هذه الآية توبيخ وتعنيف على المشركين في عبادتهم مع الله تعالى ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون. والمخلوق لا يكون شريكا للخالق في العبادة التي خلقهم لها وسببه انهم لا يستطيعون لهم نصرا «ولا انفسهم ينصرون» فكيف يشركون به من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه وهذا برهانه ظاهر على بطلان ما كانوا يعبدون من دون الله.

قوله «والذين تدعون من دون الله ما يملكون من قطمير» الآية يخبر تعالى عن حال المدعو من دونه من الملائكة والانبياء والاصنام وغيرها، وصنفهم انهم قد انتفت عنهم الاسباب التي تكون في المدعو فنفى عنهم الملك بقوله «ما يملكون من قطمير». قال ابن عباس: القطمير التمر.

ونفى عنهم سماع الدعاء بقوله: «لا يسمعوا دعاءكم» لأنهم ما يجيبوا حيث وجدت عنهم مشتغل بما خلق له. ثم قال: «ولو سمعوا ما استجابوا لكم» لأنه ذلك ليس لهم. فليه الله لم يأذن لأحد من عباده في دعاء أحد منهم، لا استقلالا ولا اختلاطا كما تقدم. قوله «وفي الصحيح عن انس قال: شج النبي صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته الخ» قوله: يوم أحد جبل معروف كانت عنده الوقعة المشهورة. قوله «ليس لك من الامر شيء» أي عواقب الامور بيد الله. قوله: وفيه عن ابن عمر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول الخ. وفي رواية يدعو على صفوان ابن امية وسهيل ابن عمرو

وفي روايه : يدعو على صفوان بن امية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت ليس لك من الامر شيء .

وفيه عن ابي هريرة رضي الله عنه؛ قال قام رسول الله ﷺ حين انزل عليه : (وانذر عشيرتك الاقربين) فقال: يامعشر قريش او كلمة نحوها - اشتروا انفسكم لا اغني عنكم من الله شيئاً ، ياعباس بن عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيئاً ، ياصفية عمة رسول الله ﷺ لا اغني عنك من الله شيئاً ، ويافاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا اغني عنك من الله شيئاً .

انما دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم رؤساء المشركين يوم احد والسبب في تلك الافاعيل التي جرت على سيد المرسلين ، ومع ذلك فلم يستجب له بل انزل الله عليه "ليس لك من الامر شيء" الآية فتاب عليهم فآمنوا مع انهم فعلوا شيئاً لم يغفرها اكثر الكفار ولم يقدر النبي صلى الله عليه وسلم ان يدفع عنهم ضر نفسه ولا عن اصحابه فلو كان عنده من النفع والضر شيء لكان يفتك بهم ما يستحقونه على هذه الافعال . قوله وفيه عن ابي هريرة رضي الله عنه ، قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه " الخ قوله "يا معشر قريش" المعشر الجماعة قوله : "اشتروا انفسكم" اي بتوحيد الله واخلاص العباده له وعدم الاشراك به وطاعته فانه ذلك ثمن النجاه والخلاص من النار . ورفع بقوله "لا اغني عنكم من الله شيئاً" ما عساه يتوهمه بعضهم انه يغني عنهم من الله شيئاً بشفاعته قوله : "يا عباس بن عبد المطلب" الخ بين صلى الله عليه وسلم أنه لا ينجيهم من عذاب الله ولا يدخلهم الجنه ولا يقربهم الى الله . وانما يقرب بهم الى الله طاعته ويدخلهم الجنه ويخرجهم من النار برحمة الله هو طاعة الله .

واما يقدر عليه من امور الدنيا فلا يخل بها عنهم . فاذا كان لا ينفع بنته وعمه وعمته وقرابته الا بذلك فغيرهم أولى واحرى .

فانظر الى الواقع من كثير من الناس ، من الالتجاء الى الاموات والتوجه اليهم بالرغبات والرهبات وهم عاجزون لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً فضلاً عن غيرهم فتبين لك ان لهم ليسوا على شيء وانهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله وحسبوا انهم مهتدون .

« فيه مسائل »

الاولى : تفسير الايتين .

الثانية : قصة احد .

الثالثة : قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الاولياء يؤمنون في الصلاة .

الرابعة : ان المدعو عليهم كفار .

الخامسة : انهم فعلوا اشياء ما فعلها غالب الكفار منها شجهم نبيهم وحرصهم على قتله، ومنها التمثيل بالقتلى مع انهم بنو عمهم

السادسة : انزل الله عليه في ذلك (ليس لك من الأمر شيء)

السابعة: قوله (أو يتوب عليهم او يعذبهم) فتاب عليهم فآمنوا

الثامنة : القنوت في النوازل .

التاسعة : تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم واسماء آبائهم

العاشرة : لعن المعين في القنوت .

الحادية عشرة: قصته ﷺ لما انزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين

الثانية عشرة : جده ﷺ في هذا الامر بحيث فعل مانسب بسببه الى الجنون ، وكذلك لو يفعله مسلم الان .

الثالثة عشرة : قوله للابعد والاقرب « لا اغنى عنك من الله شيئا » حتى قال « يافاطمة بنت محمد لا اغني عنك من الله شيئا » فاذا صرح - وهو سيد المرسلين - بأنه لا يغني شيئا عن سيدة نساء العالمين ، وآمن الانسان انه لايقول الا الحق . ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس اليوم ، تبين له التوحيد وغربة الدين .

٩٦ - باب قول الله تعالى

(حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير) .

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك ، حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير ، فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ، وصفه سفيان بكفه ، فحرفها وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ، ثم يلقيها الآخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل ان يلقيها . وربما

٤٩

باب قول الله تعالى (حتى إذا فزع عن قلوبهم) الخ

اراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة بيان حال الملائكة الذين هم اقوى واعظم من عُبد من دون الله ، فإذا كان هذا حالهم مع الله تعالى وهيبتهم منه وخشيتهم له فكيف يدعو هم احد من دون الله ، ولهذا كانوا لا يدعون مع الله تعالى لاستقلالهم ولا واسطة بالشفاعة فغيرهم اولى الا يدعى ولا يعبد فيه الرد على جميع فرق المشركين الذين يدعون من دون الله من الانبياء والملائكة والاولياء وغيرهم في جميع اصنافهم .

وقد قال تعالى (بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول) الآية

قوله « حتى إذا فزع عن قلوبهم » اي زال عنهم الفزع إنما هي في الملائكة إذا سمعت الوحي الى جبريل يأمره تعالى به سمعت كجر سلسلة الحديد على الصفوان تنفزع عند ذلك تعظيما وهيبة . قوله « ماذا قال ربكم » ولو كان كلام الله مخلوق لقالوا ماذا خلق .

قوله « قال الحق » أي قالوا قال الحق وهو العلي الكبير علو القدر وعلو القهر وعلو الذات فله العلو الكامل بجميع الوجوه الذي لا اكبر منه ولا اعظم منه تبارك وتعالى . قوله في الصحيح أي صحيح البخاري .

قوله « إذا قضى الله الأمر » اي اذا تكلم الله بأمره الذي قضاه في السماء بما يكون . قوله ضربت الملائكة باجنحتها خضعاناً لقوله : اي لقول الله تعالى كأنه سلسلة « أي كأنه الصوت المسموع سلسلة على صفوان وهو الحجر الاملس قوله « ينفذهم ذلك »

القاها قبل ان يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا : فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء) .

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « اذا اراد الله تعالى أن يوحي بالامر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة - أو قال - رعدة شديدة - خوفاً من الله عز وجل فاذا سمع ذلك اهل السموات صعقوا وخروا لله سجداً ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما اراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة : كلما مر بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا ياجبريل ، فيقول قال الحق وهو العلي الكبير . فيقولون كلهم مثل ماقال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي الى حيث أمره الله عز وجل) .

اي ينفذ ذلك القول الملائكة اي يخلص ويمضي فيهم حتى ينزع عنهم قوله « حتى اذا فزع عن قلوبهم » اي زال عنها الخوف والفشي قالوا ماذا قال ربكم اي قال الملائكة بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الله الحق . علموا انه لا يقول الا الحق . قوله « فيسمعها مسترق السمع » اي يسمع الكلمة التي قضاها الله وهم الشياطين . قوله « فيسمع الكلمة » اي يسمع المسترق الفوقاني الكلمة من الوحي . قوله « فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها » الشهاب النجم الذي يرمى به . وهذا يدل على ان الرمي بالنجوم كان قبل المبعث قلت قال معمر للزهري اكان يرمى بها في الجاهلية قال نعم . قال رأيت وانا كنا نقعد صرفا مقاعد للسمع » الاية قال غلظت وشددت حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله « فيكذب معها مائة كذبة » اي يكذب الشيطان مع الكلمة التي استرقها مائة كذبة ويخبر بالجميع وليها من الانس قوله « فيقال : الخ . تكونهم يصدقون بعضهم الاحيانا فيما سمعوه من الوحي ونفي قبول النفوس للباطل كيف يتعلق بواحد والاخبار به بمائة كذبة ، ونفي انه الشيء اذا كان فيه نوع من الحق لا يدل على انه حق كله ، بل لا يدل على اباحته كما في الكاهن . قوله وعن النواس الخ قوله : « اذا اراد الله تعالى انه يوحي بالامر

« فيه مسائل »

الاولى : تفسير الاية .

الثانية : ما فيها من الحجة على ابطال الشرك ، خصوصا من تعلق على الصالحين، وهي الاية التي قيل انها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب .

الثالثة تفسير قوله (قالوا الحق وهو العلي الكبير)

الرابعة : سبب سؤالهم عن ذلك .

الخامسة : ان جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله - قال كذا وكذا

السادسة : ذكر أن أول من يرفع راسه جبريل :

السابعة : انه يقول لاهل السموات كلهم لأنهم يسألونه .

الثامنة : ان الغشى يعم اهل السموات كلهم .

التاسعة : ارتجاف السموات لكلام الله .

فيه النص على ان الله تعالى يتكلم بالوحي . قوله « فزع » عن قلوبهم اي انكشف عنها الفزع ، ظاهر بأن السموات تخافه بما يجعل الله فيها من الاحساس ومعرفة من خلقها وقد اخبر تعالى ان هذه المخلوقات العظيمة تسبحه ، قال تعالى « تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا » (1) وقال « والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون » (2) قوله « فاذا سمع ذلك اهل السموات صعقوا وخروا سجودا » الصعق هو الغشي ومعه السجود . قوله « فيكون اول من رفع راسه جبريل » معنى جبريل عبد الله . وفيه فضيلة جبريل كما قال « انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين » قال ابن كثير انه يبلغ رسول كريم قال ابو صالح في الآية قال جبريل يدخل في سمعه حجابا من نور يغير اذنه ، ولاحمد بسند صحيح عن ابن مسعود قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الافق يسقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم ، فاذا كان هذا اعظم المخلوق فالخالق اعظم

(1) الاسراء الآية ٤٤

(2) البقرة من الآية ٧٤

العاشرة : ان جبريل هو الذي ينتهي بالوحي الى حيث امره الله

الحادية عشرة : ذكر استراق الشياطين .

الثانية عشرة : صفة ركوب بعضهم بعضا .

الثالثة عشرة : ارسال الشهب .

الرابعة عشرة : انه تارة يدركه الشهاب قبل ان يلقيها ، وتارة يلقيها في اذن وليه من الانس قبل ان يدركه .

الخامسة عشرة : كون الكاهن يصدق بعض الاحيان

السادسة عشرة : كونه يكذب معها مائة كذبة .

السابعة عشرة . انه لم يصدق كذبه الا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء .

الثامنة عشرة : قبول النفوس للباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة .

التاسعة عشرة : كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها .

العشرون : اثبات الصفات خلافا للاشعرية المعطلة .

الحادية والعشرون : التصريح بان تلك الرجفة والغشى خوفا من الله عز وجل .

الثانية والعشرون : انهم يخرون لله سجدا .

واجل واكبر . قوله حتى ينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل في السماء والارض هذا تمام الحديث . والآيات المذكورة في الباب والاحاديث تقرر التوحيد الذي هو مدلول شهادة ان لا إله إلا الله فإنه الملك العظيم الذي تضعف الاملاك عن كلامه خوفاً منه ورهبة وترجف منه المخلوقات لكمال في ذاته وصفاته وعلمه وقدرته وملكه لا يجوز ان يجعل له شريك في عبادته من خلقه .

(باب الشفاعة)

وقول الله عزوجل : (وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع)

وقوله (قل لله الشفاعة جميعاً) .

وقوله (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه)

وقوله (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى)

وقوله « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض » الايتين .

قال ابو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون

(باب الشفاعه)

قوله "باب الشفاعه" اي بيان ما اثبته القرآن شرطا وما نفاه وحقيقته ما دل القرآن على اثباته قوله "وانذر به" قال ابن عباس : بالقرآن "الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم" وهم المؤمنون . قوله "ليس لهم من دونه" قال ابن كثير: ليس لهم من دونه يومئذ ولي ولا شفيع من عذابه ان اراد هم به لعلهم يتقون فيعملوا عملاً ينجيهم من عذابه يوم القيامه .

قلت مقتضى سبحانه وتعالى عدم المؤمنين ان يكون لهم ولي او شفيع من دون الله كما هو في المشركين وليس في الآيه دليل على نفي الشفاعه لأهل الكبائر باذن الله بل شرط دليل على نفي اتخاذ الشفعاء عدم المؤمنين ، وعلى شرط باذن الله ، ولهذا اثبت الشفاعه باذنه في مواضع قوله : "قل لله الشفاعه جميعاً" وقوله "ام اتخذوا من دونه شفعاء" الآيه وقوله تعالى "ويعيد ويوم تقوم الساعه" الى قوله "شركائهم" فنبه في هذه الآيات وامثالها ان وقوع الشفاعه على هذا الوجه منتف ممتنع وان اتخاذهم شفعاء من دون الله يتنزه الرب تعالى عنه وقوله "قل لله الشفاعه جميعاً" اي هو مالكها .

فليس لمن تطلب منه شيء شرط وانما تطلب ممن يملكها دونه وكل ما سواه قوله "من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه" قد بينه فيما تقدم من الآيات ان الشفاعه التي نفاها القرآن هي التي تطلب من غير الله وفي هذه الآيه

قال أبو العباس : نفى اللهُ عمَّا سواه كلَّ ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره مِلْكٌ أو قِسطٌ منه ، أو يكون عوناً لله ، ولم يبق إلاَّ الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الربّ كما قال : ﴿ ولا يَشْفَعون إلاَّ لِمَنِ ارتضى ﴾ فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفيةٌ يوم القيامة كما نفاها القرآن ، وأخبر النبيُّ ﷺ أنه : « يأتي فيسجدُ لربه ويحمدُه ـ لا يبدأ بالشفاعة أولاً ـ ثم يقال له : ارفع رأسَك ، وقل يُسْمَع ، وسَلْ تُعْطَ ، واشفعْ تُشَفَّع » . وقال له أبو هريرة : مَن أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : « من قال لا إلهَ إلا الله خالصاً من قلبه » فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ، ولا تكونُ لمن أشركَ بالله . وحقيقتُه أن اللهَ سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أَذِنَ له أن يَشْفع ليُكرِمه وينال المقامَ المحمود . فالشفاعةُ التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا اثبت الشفاعة بإذنه في مَواضع ، قد بيَّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص . انتهى كلامه .

اي الشفاعه إنما تنفع في الدار الآخره كما قال تعالى « يومئذ لا تنفع الشفاعه إلا من اذن له الرحمن ورضي له قولاً » فبين انها ما تنفع لأحد إلا بشرطين : اذن الرب تعالى للشافع ان يشفع ، ورضاه عن المأذون له بالشفاعه فيه ، وهو ان يرضى قوله واعماله إذا أراد به وجهه ولقي العبد ربه مخلصاً . قوله « الوكم من ملك في السموات » الآيه . قال ابن كثير « وكم من ملك » الآيه يقول « من ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه ؟ وقوله « ولا تنفع الشفاعه عنده إلا باذنه » اي فإذا كان هذا في حق الملائكه المقربين فكيف رجوه ايها الجاهلون شفاعة هذه الاندادِ عند الله ، وقوله تعالى « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذره في السموات ولا في الارض » الآيه . قال ابن القيم رحمه الله في الكلام

فيه مسائل : (الأولى) تفسير الآيات . (الثانية) صفة الشفاعة المنفية . (الثالثة) صفة الشفاعة المثبتة . (الرابعة) ذكر الشفاعة الكبرى ، وهي المقام المحمود . (الخامسة) صفة ما يفعله ﷺ ، وأنه لا يبدأ بالشفاعة بل يسجد ، فإذا أذن الله له شفع . (السادسة) من أسعد الناس بها . (السابعة) أنها لا تكون لمن أشرك بالله . (الثامنة) بيان حقيقتها .

٥٦

على هذه الآيات ؛ وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها فإنه المشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع والنفع لا يكون إلا من فيه خصلة من هذه الأربع : إما مالكاً لما يريده عابده منه ، فإنه لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك ، فإنه لم يكن كان معيناً وظهيراً فإنه لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً . فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً منتقلاً من الأعلى إلى الأدنى فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشركون ، وأثبت شفاعة لمن نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة بإذنه ، ثم قال : ومن أنواعه أي الشرك طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم وهذا أصل الشرك في العالم . إلى أن قال : - وما نجا من هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده وعادى المشركين وتقرب بمقتهم إلى الله واتخذ الله وحده وليه والهه ومعبوده . قوله قال أبو العباس ، هو أحمد بن تيمية إمام الحنابلة نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون إلخ ساق كلام شيخ الإسلام مقام المرجع والتفسير لما في هذا الباب ومن عرف الإخلاص . فقال : محبة الله وحده وإرادة وجهه ، وقال ابن القيم لما معنى حديث أبي هريرة تأمل هذا الحديث كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد عكس ما عند المشركين : أنه الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم فقلب النبي صلى الله عليه وسلم ما في زعمهم وأخبر أن سبب الشفاعة تجريد التوحيد حينئذٍ يأذن الله للشافع أن يشفع .

١٨ ـ بـاب

قولِ الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الآية[١] .

في الصحيح عن ابن المسيَّب عن أبيه قال : لما حَضَرَتْ أبا طالبٍ الوفاةُ جاءه رسولُ الله ﷺ ، وعنده عبدُ الله بن أبي أميَّة وأبو جهل ، فقال له : « يا عمِّ ، قل لا إلهَ إلا الله ، كلمةً أحاجُّ

باب

قول الله تعالى « إنك لا تهدي من أحببت »

أراد المصنف رحمه الله الرد على عباد القبور الذين يعتقدون في الأنبياء والصالحين أنهم ينفعون ويضرون فبيَّن لهم مقصوده الذنوب وتفريج الكروب وهداية القلوب وغير ذلك فإذا عرف الإنسان معنى هذه الآية ومن نزلت فيه تبين له بطلان قولهم وفساد شركهم . قوله « إنك لا تهدي من أحببت » قال ابن كثير يقول الله لرسوله يا محمد لا تهدي من أحببت أي ليس إليك ذلك إنما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء كما قال تعالى : « ليس عليك هداهم »[٢] الآية وقال : « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين »[٣] والمنفي هنا هداية التوفيق والقبول فإنه أمر ذلك إلى الله وهو القادر عليه . وأما الهداية المذكورة في قوله « وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم »[٤] فإنها هداية الدلالة والبيان فهو المبيِّن عند الله والدال على دينه وشرعه .

قوله في الصحيح « عن ابن المسيب عن أبيه » الخ قوله « لما حضرت أبا طالب الوفاة » أي علاماتها ومقدماتها جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتل ابن المسيب حضر مع الاثنين فقال يا عم قل : « لا إله إلا الله » أمره بأن يقولها لعلم أبي طالب بما دلت عليه من نفي الشرك بالله وإخلاص العبادة له وحده ، فإنه ممن قالها بعلم ويقين فقد برئ من الشرك والمشركين ودخل في الإسلام .

(١)
(٢)
(٣)
(٤)

لكَ بها عند الله » . فقالا له : أترغبُ عن ملّة عبد المطلب ؟ فأعاد عليه النبي ﷺ ، فأعادا ، فكان آخر ما قال هو على ملّة عبد المطّلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله ، فقال النبيُّ ﷺ : « لأستغفرنَّ لك مالم أُنْهَ عنك » فأنزل الله عز وجل ﴿ ما كان للنبيِّ والذين آمنوا أن يَستغفِرُوا للمشركين ﴾ وأنزل في أبي طالب ﴿ إنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أحببتَ ولكنَّ اللهَ يَهْدِي من يَشاء ﴾(١)

قوله « فقالا له أترغب عن ملة عبد المطلب » ذكراه الحجة الملعونة التي احتج بها المشركون على المرسلين ، كقولهم ﴿ ما بال القرون الأولى ﴾ وقوله « وكذلك ما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » وقوله « فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم فأعاد » الخ فيه معرفة معنى لا إله إلا الله وأنه أبا طالب لو قالها لبرئ من ملة عبد المطلب فإن ملة عبد المطلب هي الشرك بالله في الإلهية . ومن حكمة الرب تعالى في عدم هداية أبي طالب إلى الإسلام ليبين لعباده أنه ولي الهداية وهو القادر عليها دون من سواه فلو كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم التي هو أفضل خلقه من هداية القلوب وتفريج الكروب والنجاة من النار ونحو ذلك شيء لكانت أحق الناس بذلك وأولاهم به عمه الذي كان يحوطه ويحميه وينصره . وقوله « فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله » فيه تأكيد من نفي وقوع ذلك من أبي طالب ، وقال المصنف فيه الرد على زعم إسلام أبي طالب وقوله « لأستغفرن لك مالم أنه عنك » قال النووي فيه جواز الحلف من غير استحلاف ، وكانت الحلف هنا لتأكيد العزم على الاستغفار تطييبا لنفس أبي طالب . وقوله « فأنزل الله عز وجل » وما كان لنبي والذين آمنوا معه أي ما ينبغي لهم ذلك وهو خبر بمعنى النهي وقوله « وأنزل في أبي طالب » إنك لا تهدي من أحببت ؟ ظاهره أنه مات على غير الإسلام ، وفيه تحريم الاستغفار للمشركين وهو الأظهر من محبتهم لأنه إذا حرم الاستغفار لهم فمن الأولى محبتهم أولى

(١)
(٢)
(٣)

فيه مسائل : (الأولى) تفسير قوله : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ . (الثانية) تفسير قوله : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ . (الثالثة) وهي المسألة الكبرى تفسير قوله : « قل لا إله إلا الله » بخلاف ما عليه من يدعي العلم . (الرابعة) أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل « قل لا إله إلا الله » ، فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام . (الخامسة) جده ﷺ ومبالغته في إسلام عمه . (السادسة) الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه . (السابعة) كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له ، بل نهي عن ذلك . (الثامنة) مضرة أصحاب السوء على الإنسان . (التاسعة) مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر ، (العاشرة) الشبهة للمبطلين في ذلك ، لاستدلال أبي جهل بذلك . (الحادية عشرة) الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم ، لأنه لو قالها لنفعته . (الثانية عشرة) التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين ، لأن في القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها مع مبالغته ﷺ وتكريره فلأجل عظمتها ووضوحه عندهم اقتصروا عليها .

١٩ - باب

ما جاءَ أَنَّ سببَ كُفر بني آدمَ وتركِهِمْ دينَهم هو الغُلوُّ في الصالحين

وقولِ الله عز وجل: ﴿ يا أَهلَ الكتابِ لا تَغْلُوا في دِينِكم ﴾.

في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿ وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهتَكم ولا تَذَرُنَّ وَدّاً ولا سُواعاً

قوله لا باب ما جاء انه سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين
اراد المصنف رحمه الله ببيان ما يؤول اليه الغلو في الصالحين من الشرك بالله في الالهية. قوله وقول الله عز وجل ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ﴾ الغلو: هو الافراط في التعظيم بالقول والاعتقاد، أي لا ترفعوا المخلوق فوق منزلته التي انزله الله منزلوه المنزله التي لا تنبغي الا لله. والخطاب وان كان لأهل الكتاب فانه عام يتناول جميع الأمة تحذيرا لهم ان يفعلوا بنبيهم صلى الله عليه وسلم فعل النصارى في عيسى واليهود في العزير، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم" فكل من دعا نبيا او وليا ميتا او غائبا فقد اتخذه إلها وضاهى النصارى في شركهم وضاهى اليهود في تفريطهم فاليهود غلوا في عيسى واليهود عادوه وتنقصوه فالنصارى أفرطوا واليهود فرطوا. وقال تعالى ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة ﴾ ففي هذه الآية الرد على اليهود والنصارى، قال شيخ الاسلام ومن تشبه به من هذه الامة باليهود والنصارى وغلا في الدين بافراط فيه أو تفريط فقد ضاهاهم، قال: وعلي رضي الله عنه حرق الغالية من الرافضة واتفق الصحابة رضي الله عنهم على قتلهم. قوله ومن الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله ﴿ وقالوا لا تذرن آلهتكم الآية ﴾ صارت الاوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير اسماء رجال صالحين من قوم نوح. قوله حتى اذا هلك أولئك، أي الذين صوروا تلك الاصنام

﴿ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْراً﴾ قال: هٰذه أسماءُ رجالٍ صالحينَ من قوم نُوح، فلما هلكوا أوحى الشيطانُ إلى قومهم أنِ انْصِبوا إلى مجالسهم التي كانوا يَجلِسون فيها أنصاباً وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبَدْ. حتى إذا هَلَكَ أُولئك ونُسِيَ العلمُ، عُبِدَتْ.

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوَّرُوا تماثيلَهم، ثم طال عليهم الأمدُ فعَبَدُوهم(١)

وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا تُطْرُوني كما أطرَت النصارى ابنَ مريم، إنما أنا عبدٌ فقولوا: عبدُ الله ورسوله» أخرجاه(١).

وسمي العلم اي درست آثاره بذهاب العلماء وعم الجهل فوقعوا في الشرك ظناً منهم انه ينفعهم عند الله. عُبدت لما قال لهم ابليس انما كانوا يعبدونهم ويستغيثونه هو الذي زين لهم عبادة الاصنام وامرهم بذلك فصار هو معبودهم في الحقيقة كما قال تعالى (الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين)(١) وهذا يفيد الحذر من الغلو ووسائل الشرك وانه كان القصد به حسن فان الشيطان ادخل اولئك في الشرك من باب الغلو في الصالحين والافراط في محبتهم، كما وقع مثل ذلك في هذه الامة اظهر لهم الغلو والبدع في قالب تعظيم الصالحين ومحبتهم ليوقعهم فيما هو اعظم من ذلك في عبادتهم لهم من دون الله. قوله (وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم) الا انه ذكر عكوفهم على قبورهم قبل تصويرهم تماثيل وذلك من وسائل الشرك لأنه العكوف لله في المساجد عباده، فاذا عكفوا على القبور جاء عكوفهم تعظيماً ومحبة لها ثم طال عليهم فعبدوهم بسبب تلك العبادة ما جرى من الاولين من التعظيم في العكوف على القبور ونصب صورهم في مجالسهم، فصارت بذلك اوثاناً تعبد من دون الله. قوله (عن عمر رضي الله عنه أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تطروني» الخ قوله «لا تطروني» الاطراء مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه، قوله «انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» أي لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى

وقال : قال رسول الله ﷺ : « إيّاكُم والغُلوَّ ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ »(١) . ولمسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « هَلَكَ المتنطِّعون » قالها ثالثا(٢) .

في عيسى ادعوا فيه الألوهية وإنما أنا عبد الله ورسوله وصفوني بذلك كما وصفني ربي قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم » الخ ذكره المصنف بدون ذكر راويه وقد رواه أحمد وهذا لفظه عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة جمع هل القطوا لي فلقطت له حصيات هن حصى الخذف فلما وضعتهن في يده قال نعم بمثل هؤلاء وإياكم والغلو قاله شيخ الإسلام وهذا عام في الدين في الحديث في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات في الأعمال وسبب هذا اللفظ العام هي الجار وهو داخل فيه وضل المرجي بالجاره الكبار بناءً على أنه أبلغ من الصغار وقوله ولمسلم عن ابن مسعود قال هلك المتنطعون قال الخطابي : المتنطع المتعمق في الشيء والمتكلف في البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم ومن المتنطع الامتناع من المباح مطلقاً كالذي يمتنع من أكل اللحم والخبز ومن لبس الكتان والقطن ولا يلبس إلا الصوف ويمتنع من نكاح النساء ويظن أن هذا من الزهد المستحب . قال الشيخ تقي الدين : فهذا جاهل ضال . قيل المتنطعون في البحث والاستقصاء وقيل المتعمقون المتكلمون بأقصى حلوقهم وقال النووي فيه كراهة في الكلام بالتقعر وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم قالها ثلاث مرات مبالغة في التعليم والإبلاغ فقد بلغ البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه .

فيه مسائل : (الأولى) أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب . (الثانية) معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين . (الثالثة) أول شيءٍ غير به دين الأنبياء وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم . (الرابعة) قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها . (الخامسة) أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل : فالأول محبة الصالحين ، والثاني فعل أناس من أهل العلم والدين شيئاً فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره . (السادسة) تفسير الآية التي في سورة نوح . (السابعة) جبلة الآدمي في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد . (الثامنة) أن فيه شاهداً لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر . (التاسعة) معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل . (العاشرة) معرفة القاعدة الكلية وهي النهي عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه . (الحادية عشرة) مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح . (الثانية عشرة) معرفة النهي عن التماثيل والحكمة في إزالتها (الثالثة عشرة) معرفة عظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها . (الرابعة عشرة) وهي أعجب وأعجب قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات واعتقدوا أن ما نهى الله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال ، (الخامسة عشرة) التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة . (السادسة عشرة) ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك . (السابعة عشرة) البيان العظيم في قوله : « لا تطروني » إلخ . فصلوات الله وسلامه عليه بلغ البلاغ المبين . (الثامنة عشرة) نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين . (التاسعة عشرة) التصريح بأنها لم تعبد حتى نسى العلم ، ففيها بيان معرفة قدر وجوده ومضرة فقده (العشرون) أن سبب فقد العلم موت العلماء .

٢٠ ـ باب

ما جاء من التغليظ فيمن عَبَدَ اللهَ عند قبرِ رجل صالح فكيف إذا عَبَدَه !(١)

في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ ذكرتْ لرسول الله ﷺ كنيسةً رأَتها بأرض الحَبَشَةِ وما فيها من الصُّور فقال : « أُولٰئكِ إذا مات فيهم الرجلُ الصالح ـ أو العبد الصالح ـ بَنَوْا على قبره مسجداً وصوَّروا فيه تلك الصُّور ، أُولٰئكِ شِرارُ الخَلق عندَ الله » فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين فتنةِ القبور وفتنةِ التماثيل(١).

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده ؟ اي الرجل الصالح فإن عبادته هي الشرك الاكبر ، وعبادة الله عنده وسيلة الى عبادته ووسائل الشرك محرمة لانها تؤدي الى الشرك الاكبر وهو اعظم الذنوب قوله « في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها ان ام سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة : الكنيسة معبد النصارى ، قوله « اولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح او العبد الصالح شك من سيفه رواه الحديث قوله وصوروا فيه تلك الصور الاشارة الى ما ذكرت عن النصارى ، قوله « اولئك شرار الخلق عند الله وهذا يقتضي تحريم بناء المساجد على القبور وقد فعله من فعل ذلك قوله « فهؤلاء جمعوا » الخ هذا من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ذكره المصنف كتنبيه على ما وقع من شدة الفتنة بالقبور كالفتنة بالاصنام او اشد قوله ولها عنها اي عن عائشة قالت لما نزل بي ترددت به ملك الموت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخفق اي جعل رحمها اي كأن له اعلام .

وعنها قالت: لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها، فقال وهو كذلك «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا. أخرجاه(١)

قوله «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا الخ» يبين انه من فعل مثل ذلك حل عليه من اللعنة ما حل على اليهود والنصارى. قوله «يحذر ما صنعوا» هذا من كلام عائشة. ومن غريبة الاسلام ان هذا الذي نص رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عليه قد فعله الخلوف الكثير من متأخري هذه الامة. وهو من اعظم السيئات والمنكرات ومحادة لله ورسوله قوله «غير انه خشي ان يتخذ مسجدا» اي فلم يبرزوه خشية ان يقع ذلك من بعض الامة غلوا او تعظيما بما ابتدى واعتاد من الزهي والتحذير منه ولعن فاعله.

ولمسلم عن جُنْدَب بن عبد الله قال : سمعتُ النبي ﷺ قبلَ أن يموتَ بخمسٍ وهو يقول : « إنّي أبرأُ إلى الله أن يكونَ لي منكم خليلٌ ، فإنّ اللهَ قد اتَّخَذَني خليلا كما اتخذَ إبراهيمَ خليلا ، ولو كنتُ مُتَّخِذاً من أُمَّتي خليلا لاتخذت أبا بكرٍ خليلا . ألا وإنَّ مَن كانَ قبلكم كانوا يتَّخذون قبورَ أنبيائهم مساجدَ ، ألا فلا تتَّخذوا القبورَ مساجدَ ، فانّي أنهاكُمْ عن ذلك »[1] . فقد نهى عنه في آخرِ حياته ثمَّ إنه لَعَن ـ وهو في السِّياق ـ مَن فَعَلَه . والصلاةُ عندهَا من ذلك ، وإن لم يُبْنَ مَسجدٌ ، وهو مَعْنى قولِها خُشِي أَنْ يُتَّخذَ مَسْجِداً فإن الصَّحابَةَ لَمْ يَكونوا ليَبْنُوا حول قَبرِه مسجدا ، وكل مَوْضع قُصِدَتِ الصلاةُ فيه فقد اتُّخِذَ مسجدا ، بل كلُّ موضع يُصلَّى فيه يُسمَّى مسجدا ، كما قال ﷺ :

قوله « ولمسلم عن جندب » الخ قوله « إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل » أي أمتنع عما لا يجوز لي أن أفعله ، والخلة قوله المحبة والخليل المحبوب غاية الحب مشتق من الخلة بفتح الخاء هي تخلل المودة في القلب قال القرطبي « وإنما كان ذلك لأن قلبه صلى الله عليه وسلم قد امتلأ من محبة الله وتعظيمه وصفته فلا يسع خلة غيره . قوله « فإن الله قد اتخذني خليلا » فيه بيان أن الخلة فوق المحبة قال ابن القيم وأما ما يظنه من لا معرفة له أن الخلة أكمل من المحبة وأن إبراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله فمن جهل الأمر فإن المحبة عامة والخلة خاصة وهي غاية المحبة قوله « ولو كنت متخذا » الخ فيه بيان أن الصديق أفضل الصحابة وفيه الرد على الرافضة وعلى الجهمية وهما من أهل البدع قوله « ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد » قال الخطابي : إنكار النبي صلى الله عليه وسلم صنيعهم يخرج على وجهين أحدهما أنهم يسجدون للأنبياء تعظيما ، الثاني أنهم يجوزون الصلاة بحضرة الأنبياء ، والتوجه إليها حالة الصلاة نظرا منهم بذلك إلى عبادة الله والمبالغة في تعظيم الأنبياء والأول هو الشرك الجلي والثاني هو

« جُعِلَتْ لِي الأرض مَسجِدًا وطَهُورًا »(١)

ولأحمد بسند جيّد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا :
« إنَّ مِن شِرارِ الناسِ مَن تُدْرِكُهُم الساعةُ وهم أحياء ، والذين يَتَّخِذونَ القبورَ مَساجِدَ » . ورواه أبو حاتم في صحيحه(٢)

الشرك الخفي فلذلك استحق اللعنة قوله وقد نهى عنه في آخر حياته كما في حديث جندب ١١ هذا من كلام شيخ الإسلام وكذا ما بعده وقوله ثم إنه لعنه وهو في السياق سنفصله كما في حديث عائشة قوله والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبني مسجدًا أي من اتخاذ ساجد الملعون فاعله ، وهذا يقتضي تحريم الصلاة عند القبور والبرك ، قوله وإنما أن الصحابة لم يكونوا ١١ الخ أي لما علموا أنه شديد في ذلك وتغليظه وتصدقا على قوله وفي كل موضع قصدت فيه الخ أي وإن لم يبن مسجد بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدا وإن لم يقصد بذلك ذلك الموضع بخصوصه فصار بالصلاة فيه مسجدا . قوله كما قال صلى الله عليه وسلم جعلت لي الأرض مسجدا الخ أي تجوز الصلاة في كل بقعة منها إلا ما استثنى من المواضع التي لا تجوز الصلاة فيها كالمقبرة ونحوها . قوله وفي لأحمد بسند جيد عن ابن مسعود مرفوعا إن من شرار الناس من تدركهم الساعة الخ . قوله من شرار الناس جمع شرير قوله من تدركهم الساعة فقد مات كزوج الدابة وطلوع الشمس من مغربها ونحو ذلك ينفخ في الصور نفخة الفزع قوله وفي والذين يتخذون القبور مساجد أي والذين يتخذون القبور مساجد أي بالصلاة عندها والبرك وبناء المساجد عليها والعجب أن أكثر من يدعي محمدا هو من هذه الأمة لا ينكر ذلك بل ربما استحسنوه ورغبوا فيه فلقد اشتدت غربة الإسلام قال شيخ الإسلام رحمه الله إما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة الطوائف بالنهي عنه متابعة للأحاديث الصحيحة إلى أن قال وهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك يتعين إزالتها بهدم أو غيره هذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء المعتد بهم . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى يجب هدم القباب التي بنيت على القبور لأنها أسست على معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فيه مسائل : (الأولى) ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجدا يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح ، ولو صحت نية الفاعل . (الثانية) النهي عن التماثيل وغلظ الأمر في ذلك . (الثالثة) العبرة في مبالغته ﷺ في ذلك كيف بين لهم هذا أولاً ، ثم قبل موته بخمس قال ماقال ، ثم لما كان النزع لم يكتف بما تقدم . (الرابعة) نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر . (الخامسة) إنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم . (السادسة) لعنه إياهم على ذلك . (السابعة) أن مراده ﷺ تحذيره إيانا عن قبره ، (الثامنة) العلة في عدم إبراز قبره . (التاسعة) في معنى اتخاذه مسجدا . (العاشرة) أنه قرن بين من اتخذها مسجدا وبين من تقوم عليه الساعة ، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته . (الحادية عشرة) ذكره في خطبته قبل موته بخمس الرد على الطائفتين اللتين هما شر أهل البدع ، بل أخرجهم بعض السلف من الثنتين والسبعين فرقة ، وهم الرافضة والجهمية ، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور ، وهم أول من بنى عليها المساجد . (الثانية عشرة) ما بلى به ﷺ من شدة النزع . (الثالثة عشرة) ما أكرم به من الخلة . (الرابعة عشرة) التصريح بأنها أعلى من المحبة . (الخامسة عشرة) التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة . (السادسة عشرة) الإشارة إلى خلافته .

١٢- باب (ماجاء أن الغُلوَّ في قبور الصالحين يُصيِّرها أوثانا تُعبَدُ من دُون الله)

رَوى مالك في المُوَطَّأ : أن رسول الله ﷺ قال : « اللَّهمَّ لا تجعل قبري وَثَناً يُعْبَد ، اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ اتَّخَذُوا قبورَ أنبيائِهم مَساجد »(١)

ولابن جرير بسنده عن سُفْيان عن منصور عن مُجاهد (افرَأَيْتُمُ اللات والعُزَّى) ، قال كان يَلُتُّ لهم السَّويقَ ، فمات ،

قوله باب ماجاء في الغلو في قبور الصالحين يصيرها اوثانا تعبد من دون الله
اراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة امور الاول التحذير من الغلو في قبور الصالحين. الثاني ان الغلو مما يؤول الى عبادتها والاوثان هي المعبودات التي لا صورة لها كالقبور والاشجار والاحجار ونحوها قوله اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد وقد استجاب الله دعاءه قال ابن القيم رحمه الله تعالى

فاجاب رب العالمين دعاءه ... واحاطه بثلاثة الجدران
حتى غدت ارجائه بدعائه ... محفوفة وحمايةٍ وصيانة

ودلت الحديث على ان قبر النبي صلى الله عليه وسلم لو عبد لكان وثنا محكوم بتغريمه من القبور التي جاءت هي واياها من دون الله تعالى اذا اريد تغيير شيئ اتف عبادها واشارت قلوبهم وعالوا تنقصوا اهل الرتب العالية ، فاذا اريد هدمه لوقيل لهم انها اوثان تعبد من دون الله فالله المستعان على غربة الاسلام . قوله واشتد غضب الله الخ فيه تحريم البناء على القبور وتحريم الصلوة عندها وانها من الكبائر . قوله ولابن جرير بسنده عن منصور الخ . قوله افرأيتم اللات والعزى وما كان يلت السويق فمات عكفوا على قبره ، وفي رواية فيظهر من هذا على الناس فلما مات عبدوه وقالوا هو اللات . ومما سبق للمترجم انهم غلوا في الصالحين حتى عبدوهم وصار قبره وثنا حرم اوثان المشركين قوله ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور الخ اي من النساء ولهذا يدل على تحريم زيارة القبور عليهن . وقيل في تعليل انه يخرج الى الجزع والندب والنياحة قوله والمتخذين عليها المساجد

فعكفوا على قبره . وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس : كان يَلُتُّ السويقَ للحاجّ(١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لَعَنَ رسولُ الله ﷺ زائرات القبورِ والمتَّخِذينَ عليها المساجدَ والسُّرج . رواه أهلُ السُّنَن(٢) .

فيه مسائل (الأولى) تفسير الأوثان . (الثانية) تفسير العبادة (الثالثة) أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه . (الرابعة) قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد . (الخامسة) ذكر شدة الغضب من الله . (السادسة) وهي من أهمها معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان . (السابعة) معرفة أنه قبر رجل صالح . (الثامنة) أنه اسم صاحب القبر وذكر معنى التسمية . (التاسعة) لعنه زوارات القبور . (العاشرة) لعنه من أسرجها .

وتقدم في الباب الذي قبله . قوله « والسرج » هذا دليل على تحريم اتخاذ السرج على القبور . قال ابو المعالي لو أبيح اتخاذ السرج عليها لم يلعن فعله لأنه يضيء تضييعا للمال في غير فائدة وافراط في القبور أشبه تعظيم الأصنام . وقال ابن القيم يا اتخاذها مساجد وايقاد السرج عليها من أكبر الكبائر . اهـ

٢٢ باب ماجاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسدِّه كلَّ طريق يُوصل إلى الشرك(١)

وقولِ الله تعالى : ﴿ لقد جاءَكُمْ رسولٌ من أَنْفُسِكُمْ عَزيزٌ عليه ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عليكم ﴾ الآية(٢). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجعلوا بيوتَكم قُبوراً ولا تجعلُوا قَبرِي عِيداً ، وصلُّوا عليَّ فإنَّ صلاتَكُمْ تَبْلُغُني حيثُ كنتم » رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات(٣). وعن عليٍّ ابن الحسين أنه رأى رجُلا يجيءُ إلى فرجةٍ كانت عند قبر النبي ﷺ فيَدْخل فيها فيدعو ، فنهاه وقال : ألا أُحَدِّثكم حديثاً سمعتُه من أبي عن جَدِّي عن رسول الله ﷺ قال : « لا تَتَّخِذُوا قبري عيداً ولا بُيوتَكُم قُبوراً ، وصلُّوا علي فإن تسليمكُم يبلُغُني أين كنتم » رواه في المختارة(١)

قوله « باب ماجاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل الى الشرك »

الجناب : هو الجانب المراد حمايته عما يقرب منه او يخالطه من الشرك واسبابه

قوله « وقول الله تعالى ﴿ لقد جاءكم رسول من انفسكم ﴾ الآية » قال ابن كثير يقول تعالى ممتنا على الموضعين لما ارسل اليهم رسولا من انفسهم اي من جنسهم وعلى لغتهم قوله ﴿ عزيز عليه ما عنتم ﴾ اي يعز عليه الشيء الذي يعنتك ويرهقك جاء في الحديث انه قال : « بعثت بالحنيفية السمحة » ﴿ حريص عليكم ﴾ اي على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والاخروي اليكم ﴿ بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ قلت : فاقتضت هذه الاوصاف التي وصف بها رسوله صلى الله عليه وسلم في حق امته ان نذرهم الشرائع التي يعلموا عظم الذنوب وبيّن لهم ذرائعه الموصلة اليه وابلغ في تحذيرهم عنها كما سيأتي في الباب ،

قوله « وعن ابي هريرة رضي الله عنه » الخ . قوله « لا تجعلوا بيوتكم قبورا » قال شيخ الاسلام اي لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور

فيه مسائل : (الأولى) تفسير اية براءة . (الثانية) إبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد . (الثالثة) ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته . (الرابعة) نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص ، مع أن زيارته من أفضل الأعمال . (الخامسة) نهيه عن الإكثار من الزيارة . (السادسة) حثه على النافلة في البيت . (السابعة) أنه متقرر عندهم أنه لا يصلي في المقبرة (الثامنة) تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد ، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب . (التاسعة) كونه ﷺ في البرزخ تعرض عليه أعمال أمته ، في الصلاة والسلام عليه

وفي صحيح مسلم عن ابن لا تجعلوا بيوتكم

قوله « لا تجعلوا قبري عيدًا » قال ابن القيم رحمه الله تعالى : العيد ما يعتاد مجيئه ويقصد زمانًا مأخوذ من المعاودة والاعتياد فإذا كان اسما للمكان . فهي المكان الذي يقصد للاجتماع وإتيانه للعبادة وغيرها . قوله « لا تجعلوا قبري عيدًا » إلخ قال شيخ الإسلام يشير إلى ما ينالني منكم عند الصلاة والسلام يحصل مع قربكم مني وبعدكم فلا حاجة إلى اتخاذه عيدًا وعند علي ابن الحسين إلى آخره » إلخ قوله « رأى رجلاً يجيء إلى فرجة » هي الكوة في الجدار قوله فيدخل فيها فيدعو هذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها .

٢٣ - بـاب ما جاءَ أنَّ بعضَ هٰذهِ الأُمَّةِ يَعبُدُ الأوثانَ

وقولِ الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الذين أُوتوا نَصِيباً من الكِتاب يُؤمِنُونَ بالجِبْتِ والطاغُوت ﴾[1] وقولِهِ تعالى : ﴿ قُلْ

قوله (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان)

الوثن : كل ما قصد بنوع من أنواع العبادة من دون الله تعالى من القبور والمشاهد وغيرها

أراد المصنف بهذه الترجمة الرد على عباد القبور الذين يفعلون عندها الشرك ويقولون لا يقع في هذه الأمة المحمدية . وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله فبين في هذا الباب من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ما يدل على وقوع الشرك في هذه الأمة ورجوع كثير منها إلى عبادة الأوثان وإن كان طائفة منها لا تزال على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى .

قوله (وقول الله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا ﴾) أي أعطوا (من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا ﴾ أي أعطوا ﴿ نصيبا ﴾ أي حظا ﴿ من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ﴾ . وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة فقالوا لهم أنتم أهل الكتاب وأهل العلم فأخبرونا عن محمد فقالوا ما أنتم ومحمد . فقالوا أفلا نصل الأرحام ونحن الكوماء ونسقي الماء على اللبن ونفك العناة ونسقي الحجيج ، ومحمد صنبور قطع رحمنا وابتعث سراق الحجيج من غفار ، تجده خيرا أم هو ؟ فقالوا : أنتم خير وأهدى سبيلا . فأنزل الله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ﴾

قال عمر رضي الله عنه : الجبت : السحر . والطاغوت الشيطان . وعن ابن عباس الجبت الشيطان وعنه أيضا وصنم وعنه الجبت حيي بن أخطب وعن الشعبي الجبت الكاهن قال الجوهري : الجبت كلمة يقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك قال المصنف رحمه الله تعالى وفيه عدة مسائل الأولى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع هل هو اعتقاد

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِن ذٰلك مَثُوبَةً عندَ الله ، مَن لَعنهُ اللهُ وغَضِبَ عليه وجَعلَ منهمُ القِرَدَةَ والخَنازِيرَ وَعَبَدَ الطاغوت ﴾(١) وقوله ﴿ قال الَّذينَ غَلَبُوا علىٰ أمرهم لَنَتَّخِذَنَّ عليهمْ مَسجداً ﴾

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كان قبلكم حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّة ، حَتَّى لو دَخلوا جُحْرَ ضَب لَدَخَلْتُموه » قالوا : يارسول الله ، اليهودَ والنصارى ؟ قال « فمن » ؟ أخرجاه(٢). ولمسلم عن ثَوْبان أنَّ رسولَ الله

وما متعلقة اصابرها مع بعضها ومعرفة بطلانها.

قوله وقال تعالى (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت) يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد هل اخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة ما تظنون بنا وهم انتم اهل المعصية بهذه الصفات الخبيثة بقوله من لعنه الله اي ابعده من رحمته (وغضب عليه) اي غضبا لا يرضى بعده ابدا (وجعل منهم القردة والخنازير) والقردة اصحاب السبت والخنازير كفار مائدة عيسى. (وعبد الطاغوت) اي وجعل منهم من عبد الطاغوت اي اطاع الشيطان فيما سول له. قوله الى قوله الله تعالى (قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا) اراد انهم فعلوا مع النبي بعد موتهم ما نهى عنه في حياته النبي صلى الله عليه وسلم لعن اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم وصالحيهم مساجد تحذيرا لامته ان يفعلوا فعلهم. قوله الى قوله ابي سعيد رضي الله عنه الخ. قوله بسنده اي طريق عن سنن من قبلكم الحذو القذة بالقذة والقذة واحدة القذذ وهي ريش السهم اي لتتبعن طريقهم في كل ما فعلوا وتشبهوهم في ذلك كما تشبه قذة السهم القذة الاخرى حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه اذا وصل الامر عليهم وسلم ان امته لا بد ان يفعلوا شيئا مما كان يفعله اليهود والنصارى الا فعلته وهذا قال بعضهم عينية صرف عليه ما فيه من اليهود ومن تشبه بهم من عبادنا معتقدين انه من النصارى. قوله الى من اي فمن هم غير اليهود والنصارى قوله ولمسلم عن ثوبان الخ قوله زوى لي الارض قبل اي طوى له الارض وجعلها بحيث كف من رآها ينظره قال الطيبي اي جمعها حتى ابصرت ما تملك امتي من اقصى المشارق والمغارب

ﷺ قال : « إن الله زَوَى لي الأرض فرأيت مَشارِقَها ومَغاربها ، وإن أمتي سيَبْلغُ مُلكُها ما زُوِيَ لي منها . وأُعطِيتُ الكَنزَينِ : الأحمر ، والأبيض . وإني سألت ربّي لأُمَّتي أن لا يُهلِكَها بسَنَةٍ بعامَّة ، وأن لا يُسَلِّطَ عليهم عَدُوّاً مِن سِوَى أنفسهمْ ، فيستبيحَ بَيضَتَهم . وإن ربي قال : يا محمدُ ، إذا قَضَيتُ قَضاءً فإنه لا يُرَدّ ، وإني أعطيتُك لأُمَّتِك أن لا أُهلِكَهُم بسَنَةٍ بعامَّة ، وأن لا أُسَلِّطَ عليهم عَدُوّا من سِوَى أنفُسِهم فيَستَبيح بَيْضَتَهم ولو اجتمَع عليهم مَنْ باقطارها ، حتى يكونَ بعضُهم يُهلِكُ بَعضاً ويَسبي بعضُهم بعضا »[1] . ورواه البرقانيُّ في صحيحه ، وزاد « وإنما أخاف على أُمّتي الأئمةَ المضلّين ، وإذا وقعَ عليهُم السيفُ لم يُرْفع إلى يوم

٥ د

مزاوره اي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها وكما ذكر ذلك من دلائل النبوه
فانه ﷺ اتسع الى ابلغ اقصى طرف الذي هو منتهى عمارة
المغرب الى اقصى المشرق ما وراء خراسان والنهر وكثير من بلاد
الهند والسند والصغد ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب
والشمال قوله واعطيت الكنزين الاحمر والابيض وعبر الاحمر عن كنز قيصر لانه
الغالب عندهم وعبر بالابيض عن كنز كسرى لان الغالب عندهم كان الجوهر
والفضة وجد ذلك في خلافة عمر قوله واني سألت ربي لامتي
ان لا يهلكهم بسنة بعامة والسنة الجدب الذي يكون به الهلاك
العام وسمي الجدب والقحط سنة ويجمع على سنين قوله وان لا يسلط عليهم
عدوا من سوى انفسهم اي من غيرهم من الكفار فيستبيح بيضتهم بيضة
معظمه قلت وان الله تعالى لا يسلط الكفار على معظم المسلمين وجماعتهم
وانما يسلط عليهم بعض هذه الاوصاف المذكورة في قوله حتى يكون بعضهم
يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا . قوله وانه قال يا محمد اذا قضيت قضاء
اي اذا حكمت حكما فانه لا يرد . قوله حتى يكون بعضهم يهلك بعضا اي حتى
يوجد ذلك منهم فانه وجد فانه يسلط عدو الكفار فيستبيح بيضتهم وامامهم
ومعظمهم اكل الارض ثم تكون العاقبة لهذه الامة ان رجعوا عما هم فيه
من الاسباب الموجبة لذلك وقد سلط بعضهم على بعض كما هو الواقع

القيامة . ولا تقومُ الساعةُ حتى يَلْحَقَ حيٌّ من أُمَّتي بالمشركين ، وحتى تَعبُدَ فِئامٌ من أمّتي الأوثان . وإنهُ سيكونُ في أمَّتي كذّابون ثلاثون ، كلهم يَزْعُمُ أنه نبيّ ، وأنا خاتَم النبيين ، لا نبي بعدي[1] . ولا تزالُ طائفة من أُمَّتي على الحقّ منصورةً ، لا يَضُرُّهم مَن خذَلهم ، حتى يأتيَ أمرُ الله تبارك وتعالى[1] »

فيه مسائل : (الأولى) تفسير آية النساء . (الثانية) تفسير آية المائدة . (الثالثة) تفسير آية الكهف . (الرابعة) وهي من أهمها ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع : هل هو اعتقاد قلب ، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها ؟ (الخامسة) قولهم أن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلا من المؤمنين . (السادسة) وهي المقصود بالترجمة أن هذا لابد أن يوجد في هذه الأمة . كما تقرر في حديث أبي سعيد . (السابعة) التصريح بوقوعها ، أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة . (الثامنة) العجب العجاب خروج من يدعي النبوة مثل المختار ، مع تكلمه بالشهادتين ، وتصريحه أنه من هذه الأمة وأن الرسول حق ، وأن القرآن حق . وفيه أن محمداً خاتم النبيين ، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح ، وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثيرة . (التاسعة) البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى ، بل لا تزال عليه طائفة . (العاشرة) الآية العظمى أنهم ـ مع قلتهم ـ لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم . (الحادية عشرة) أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة . (الثانية عشرة) ما فيه من الآيات العظيمة . منها إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب ، وأخبر بمعنى ذلك فوقع كما أخبر ، بخلاف الجنوب والشمال ، وإخباره بأنه أعطى الكنزين ، وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين ، وإخباره بأنه منع الثالثة ، وإخباره بوقوع السيف وأنه لا يرفع إذا وقع ، وإخباره بإهلاك بعضهم بعضا وسبى بعضهم بعضا ، وخوفه على أمته من الأئمة المضلين ، وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة . وكل هذا وقع كما أخبر ، مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون في العقول . (الثالثة عشرة) حصره الخوف على أمته من الأئمة المضلين . (الرابعة عشرة) التنبيه على معنى عبادة الأوثان .

٢٤ - باب ما جاءَ في السحر[1]

وقولِ الله تعالى : ﴿ ولقد عَلِموا لَمَنِ اشتراهُ مالَهُ في الآخرةِ من خَلاق ﴾ وقولِهِ : ﴿ يُؤْمِنونَ بالجِبتِ والطاغوت ﴾ قال عمر : الجِبْت : السحر[1]. والطاغوت : الشيطان . وقال جابر : الطواغيتُ كهّانٌ كان ينزِل عليهم الشيطانُ ، في كل حيٍّ واحدٌ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال « اجتنِبوا السبْعَ الموبقاتِ » قالوا : يارسولَ الله ، وما هنَّ ؟ قال : « الشركُ بالله ، والسِّحْرُ ، وقتلُ النفسِ التي حرَّم اللهُ إلا بالحقِّ ، وأكل الرِّبا ، وأكلُ مال اليتيم ، والتولِّي يومَ الزَّحْف ، وقَذْفُ المحصَنات الغافلات المؤمنات »[2].

وعن جُنْدَبٍ مرفوعا : « حَدُّ الساحِرِ ضَرْبَةٌ بالسيف » رواه الترمذي وقال : الصحيح أنه موقوف(١)

وفي صحيح البخاري عن بَجالَةَ بن عَبَدة قال : كتب عمرُ ابن الخطَّاب رضي الله عنه أن اقتُلوا كل ساحرٍ وساحرة . قال : فقتلنا ثلاثَ سَواحِر(٢) . وصحَّ عن حَفْصَةَ رضي الله عنها أنها أَمرتْ بقتل جارية لها سَحرتها ، فقُتلت(١) وكذلك صحَّ عن جُنْدَب . قال أحمد : عن ثلاثة من أَصحاب النبي ﷺ(٢)

فيه مسائل : (الأُولى) تفسير آية البقرة . (الثانية) تفسير آية النساء . (الثالثة) تفسير الجبت والطاغوت ، والفرق بينهما . (الرابعة) أَن الطاغوت قد يكون من الجن ، وقد يكون من الإنس . (الخامسة) معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي . (السادسة) أَن الساحر يكفر (السابعة) أَنه يقتل ولا يستتاب . (الثامنة) وجود هذا في المسلمين على عهد عمر ، فكيف بعده !

عنه الجنيات . ومطابقة هذه الآية للترجمة من حيث ان السحر طاغوت والطواغيت
اذ كان هذا الرسم يطلق على الكاهن فالساحر اولى لانه شر واخبث . قوله
« وعيد في حديث » الخ قوله « اجتنبوا السبع الموبقات » اي المهلكات وسميت هذه
الكبائر موبقات لان ارتكابها يهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات وفي الآخرة
من العذاب قوله « الاشراك بالله » هو ان يجعل لله ندا يدعوه او يرجوه او يخافه كما
يخاف الله ويدعوه لانه اعظم ذنب عصي الله به قوله « السحر » هذا وجه
ايراد المصنف لهذا الحديث في هذا الباب قوله « وقتل النفس » اي التي حرم
قتلها الا بالحق بان تفعل ما يوجب قتلها . قوله « واكل الربا » اي تناوله باي وجه كان واكل مال
اليتيم يعني التعدي فيه . قوله « والتولي يوم الزحف » اي الادبار عند الكفار وعند التحام القتال
وقذف المحصنات الغافلات » الخ اي الزنا الحرائر العفيفات برميهن بالزنا واللواط والغافلات عما
وما رميت به فهي كناية عن البريئات لان الغافل بريء عما يرمى به وهو والمؤمنات بالله احتراز عن
قذف الكافرات فانه من الصغائر قوله « وعن جندب » الخ قال المصنف ومنه انه يقتل ولا يستتاب
وبهذا الحديث اخذ مالك واحمد وابو حنيفة فقالوا يقتل الساحر ولم ير الشافعي القتل عليه
بمجرد السحر الا ان عمل في سحره ما يبلغ الكفر والاول اولى للحديث ولاثر عمر ولعل الباعث له
في ظاهر امره غير ذلك

٢٥ - باب

بيان شيءٍ من أنواع السحر

قال أحمد : حدَّثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عَوف عن حَيَّان بن العَلاء ، حدثنا قَطَنُ بن قَبيصة ، عن أبيه ، أنه سمع رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ العِيافةَ والطَّرْقَ والطِّيَرَةَ من الجِبت » . قال عوفٌ العِيافةُ : زجرُ الطير ، والطَّرق : الخَطُّ يُخَطُّ بالأَرض ، والجِبتُ قال الحسن : رَنَّةُ الشيطان . إسناده جيد . ولأبي داود والنسائي وابن حِبّان في صحيحه المسنَد منه[1] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « مَن اقتبسَ شُعبَةً من النجوم فقد اقتبس شُعبةً مِنَ السحر ، زاد ما زاد » رواه أبو داود وإسناده صحيح[1]

وللنسائي من حديث أبي هريرة : « مَن عَقَدَ عُقْدَةً ثم نَفَثَ فيها فقد سَحَر ، ومن سَحَر فقد أشرك ، ومن تعلق شيئاً وُكِلَ إليه »[2]

وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «ألا هل أنبئكم ما العضهُ؟ هي النميمةُ، القالة بين الناس». رواه مسلم(١)

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ مِنَ البَيانِ لَسِحْرا»(٢)

وعند ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ربته بالنعمان ربته اجتمعت عليه جنوده وروى ابن ماجه في الحديث الربيع الصوت قوله ولابي داود وابن حبان في صحيحه الخ ولم يذكر التفسير الذي فسره به عوف وقد رواه ابو داود بالتفسير المذكور ويؤيد كلام الحسن قوله وعند ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتبس شعبة من النجوم» الخ قوله شعبة اي طائفة من علم النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر المحرم تعالى قوله زاد ما زاد اي كلما زاد في تعلم علم النجوم زاد اثما الحاصل بزيادة الاقتباس من شعبة فانما يعتقد في السحر بالعمل والله اعلم. قوله وللنسائي الخ قوله من عقد عقده ثم نفث في عقد فقد سحر اعلم ان السحر اذا اراد وا السحر عقدوا الخيوط ونفثوا على كل عقده حتى يتعقد ما يريدون من السحر والنفث: هو النفخ مع الريق وهو دون التفل وقد يساعد هو والروح الشيطانية على اذى المسحور فيصيبه باذن الله الكوني القدري لا الشرعي قاله ابن القيم رحمه الله تعالى.

قوله ومن سحر فقد اشرك، نص في ان الساحر مشرك اذ لا يتأتى السحر بدون الشرك قوله ومن تعلق شيئا وكل اليه، اي من تعلق قلبه شيئا حتى يعتمد عليه ويرجوه وكل الله الى ذلك الشيء فمن تعلق على ربه والهه كفاه ورعاه وحفظه وتولاه فنعم المولى ونعم النصير ومن تعلق على السحر والسحرة ونحوهم من المخلوقين وكله الله الى من تعلق به قوله وعن ابن مسعود الخ قوله هي العضه قال الزمخشري اصل العضه العضة من العضه وهو البهت. ثم فسره بقوله هي النميمة: القالة بين الناس ما ظنك بحديث العضه لو زال تنفك عنه الكذب والبهتان غالبا. ذكره القرطبي وقال ابو الخطاب في عيون المسائل ومن السحر السعي بالنميمة والافساد بين الناس قال في الفروع وجزم ابن تميم بتحريم الاذى بكلام وعمله كعزيمة السحر والحيل انه منه والسحر يعرف بالعرف والعادة انه يؤثر وينتج ما يؤثره السحر وأكثر فيعطى حكمه وبه يظهر مطابقة الحديث للترجمة وهو يدل على تحريم النميمة وهو مجمع عليه. قوله ولهما عن ابن عمر

فيه مسائل : (الأولى) أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت . (الثانية) تفسير العيافة والطرق والطيرة . (الثالثة) أن علم النجوم من أنواع السحر . (الرابعة) أن العقد مع النفث من ذلك . (الخامسة) أن التميمة من ذلك (السادسة) أن بعض الفصاحة منه .

١٧

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من البيان لسحرا ، البيان البلاغة والفصاحة قال صعصعة ابنه صدق نبي الله فإنه الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحق منه صاحبه الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق . قال ابن عبد البر تأوله طائفة على الذم لأنه السحر مذموم وذهب أكثر أهل العلم وجماعة أهل الأدب إلى أنه على المدح والأول أصح والمراد به البيان الذي فيه تمويه على السامع وتلبيس كما قال بعضهم فيما يزخرف القول تزيينا لباطل ... والحق قد يعتريه سوء تعبير ...

قوله « إن من البيان لسحرا » هذا من التشبيه البليغ لكونه جعل عمل السحر فيجعل الحق في قالب الباطل والباطل في قالب الحق فيستميل به قلوب الرجال حتى يقبلوا الباطل ويتركوا الحق نسأل الله الثبات والاستقامة على الهدى . وأما البيان الذي يوضح الحق ويقرره ويبطل الباطل ويبينه فهذا هو الممدوح وبالجملة فالبيان لا يمدح إلا إذا لم يخرج إلى حد الإسهاب والإطناب وتغطية الحق وتحسين الباطل وإذا خرج إلى هذا فهو مذموم .

ما جاء في الكهّان ونحوهم(١)

روَى مسلمٌ في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال : « مَن أتَى عَرّافاً فسأله عن شيء فصَدَّقه ، لم تُقبَلْ له صلاةٌ أربعين يوما »(٢)

قوله باب ما جاء في الكهان ونحوهم الكاهن هو الذي يأخذ عن مسترق السمع وكانوا قبل المبعث كثيرين وما بعد المبعث فانهم قليل لأن الله تعالى حرس السماء بالشهب وأكثر ما يقع في هذه الأمة ما يخبر به الجن أولياءهم من الإنس عن الأشياء الغائبة مما يقع في الأرض من الأخبار فيظنه الجاهل كشفاً وكرامة وقد اغتر بذلك كثير من الناس فظنوا أن المخبر منهم بذلك ولياً لله . وهو ولي الشيطان كما قال ويوم نحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس . قوله « عن عرافاً » وظاهر الحديث أن الوعيد مرتب على المجيء والسؤال سواء صدقه أو لم يصدقه قوله « لم تقبل له صلاة » إذا كانت هذه حال السائل فكيف بالمسئول . قال النووي معناه أنه لا ثواب له فيها وإن كانت مجزئة لا يستوجب الفرض عنه قوله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » فتأمل هذا الحديث حذف منه واقتصر على ما يناسب الترجمة . قوله « عن أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه » الخ قال بعضهم بين هذا وبين حديث من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة هذا على قول من يقول الكفر دون كفر وأما على قول من يقول بظاهر الحديث فيسئل عن وجه الجمع بين الحديثين وظاهر الحديث أنه يكفر متى اعتقد صدقه بأي وجه كان قوله فقد كفر بما أنزل على محمد قال القرطبي المراد بالمنزل الكتاب والسنة وهل الكفر في هذا الموضع كفر دون كفر أم يتوقف فيه فلا يقال يخرج من الملة ولا أنه لا يخرج وهذا أشهر الروايتين عن أحمد قوله وإلا بين بطلان سنده جيد مثله لفظه من أتى كاهناً أو عرافاً الخ

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «مَن أتى كاهنا فصدَّقه بما يقولُ فقد كفَرَ بما أُنزِلَ على محمد» ﷺ. رواه أبو داود(١)

وللأربعة والحاكم وقال: صحيح على شرطهما عن ابن... «مَن أتى عرّافا أو كاهنا فصدَّقه بما يقولُ فقد كفر بما أُنزِلَ على محمد» ﷺ(٢)

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا(٣)

وفيه دليل على كفر الكاهن والساحر لأن ادعاء علم الغيب وذلك كفر والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضى به وذلك كفر أيضًا. قوله «من عقد عقدة» إلخ فيه وعيد شديد يدل على أن هذه الأمور من الكبائر وتقدم أن الكهانة والسحر كفر. قوله «أو تطير له» أي فعل التطير أو تطير له، أي قبل قول المتطير له وتابعه وكذلك معنى «أو تكهن له» كالذي يأتي الكاهن ويتابعه وكذلك من عمل الساحر له السحر فكل من تعلق بهذه الأمور عن تعاطاها فقد برئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم. قوله «قال الغوي» إلخ ظاهر الآية العراف

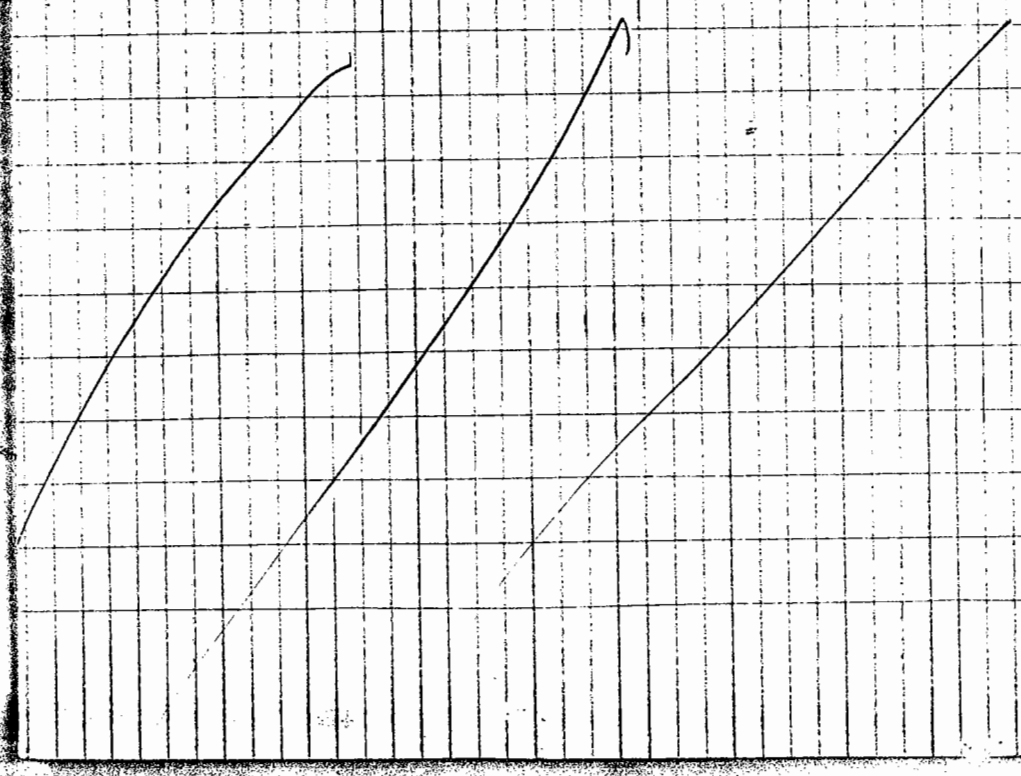

وعن عِمْرانَ بن حُصَين مرفوعا « ليس منّا من تَطيَّرَ أو تُطيِّرَ له ، أو تَكهَّنَ أو تُكُهِّنَ له ، أو سَحَر أو سُحِر له . ومَن أتى كاهنا فصدَّقه بما يقول فقد كفرَ بما أُنزِلَ على محمد » ﷺ رواه البزَّار بإسناد جيد ، ورواه الطَّبرانيُّ في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله : « ومَنْ أتى » إلى آخره(١)

قال البَغَويُّ : العَرّافُ : الذي يَدَّعِي معرفةَ الأمور بمقدماتٍ يستدلُّ بها على المسروقِ ومكانِ الضالَّةِ ونحو ذلك . وقيل : هو الكاهن والكاهِن : هو الذي يخبر عن المغيَّبات في المستقبل . وقيل : الذي يخبر عما في الضمير . وقال أبو العباس بن تيمية : العرَّافُ اسمٌ للكاهن والمنجِّم والرَّمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق ، وقال ابن عباس في قوم يكتبون « أبا جاد » وينظرون في النجوم : ما أرَى مَن فعل ذلك له عندَ اللهِ من خَلاق(٢)

هو الذي يخبر عن الواقع كالسرقة وسارقها والضالة ومكانها قوله قال شيخ الاسلام الخ قوله ونحوهم كالحازر الذي يدعي علم الغيب او يدعي الكشف وقال احمد العراف قريب من الساحر والمقصود من هذا انه من يدعي علم شيء من المغيبات نحو ما داخل في اسم الكاهن او سائل له في المعنى فيلحق به ودليله ان اصابته اخبر ببعض الامور الفائتة فمع بعضه الاصابة يكون بالكشف وبقية ظاهره من الشياطين ويكون بالعقاب والزجر والطرد والضرب بالحصى والخط بالارض والتنجيم والكهانة والسحر ونحوها من علوم الجاهلية وكل هذه الامور يسمى صاحبها كاهنا ومنجما او نحوهما فمن اتاهم فصدقهم بما يقولو لحقه الوعيد وقد ورث هذه العلوم عنهم اقوام فادعوا بها علم الغيب وادعوا انهم اولياء والدليل على كفره ولاية الشيطان له اذ ولاية الرحمن بمجرد دعواه علم الغيب كفر فكيف يكون الدعي فذلك ولا يكاد يسلم ولقد عظم الضرر

فيه مسائل : (الأولى) أنه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن . (الثانية) التصريح بأنه كفر . (الثالثة) ذكر من تكهن له . (الرابعة) ذكر من تطير له . (الخامسة) ذكر من سحر له . (السادسة) ذكر من تعلم « أبا جاد » . (السابعة) ذكر الفرق بين الكاهن والعراف .

واشتد الخطب برؤساء المفترسة الذين ورثوا هذه العلوم عن السَّرْكَسِيَّة وليسوا بحاجة على خفافيش القلوب سأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة .

قوله وقال ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد الخ . قوله « ما أرى » يجوز بفتح الهمزة بمعنى ما أعلم وبضمها بمعنى الأظن . وكتابة أبي جاد وتعلمها لمن يدعي به علم الغيب هو الذي يسمى علم الحروف وهو الذي جاء فيه الوعيد . فأما تعلمها للتهجي وحساب الجمل فلا بأس به . قوله « وينظر في النجوم » أي ويعتقد ويسند إليها التأثير كما سيأتي في باب التنجيم وفيه من الفوائد عدم الاغترار بما يؤتاه أهل الباطل من صغار فهم وعلومهم كما قال تعالى ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون ﴾ .

٢٧ ـ بـاب
ما جاءَ في النُّشْرَة(١)

عن جابر أَنَّ رسولَ الله ﷺ سُئِلَ عن النُّشْرة ، فقال « هي من عمل الشيطان » رواه أَحمد بسند جيد ، وأَبو داود وقال : سُئِلَ أَحمدُ عنها فقال : ابنُ مسعود يكره هذا كله(١)

وفي البخاري عن قَتادةَ : قلُت لابن المُسيِّب : رجلٌ به طِبّ أَو يُؤَخَّذُ عن امرأَته ، أَيُحَلُّ عنه أَو يُنَشَّر ؟ قال : لا بأْس به ، إنما يُريدون به الإصلاح فأَما ما يَنفعُ فلم يُنْهَ عنه . انتهى(٢)

ورُوى عن الحسن أَنه قال : لا يَحلُّ السِّحرَ إلا

قوله باب ما جاء في النشرة . قال ابو السعادات النشرة ضرب من العلاج والرقية يعالج به صرب من اسباب من الجن . وقال الحسن النشرة من السحر . قوله سئل عن النشرة اي النشرة المعهودة التي كان أهل الجاهلية يعتقدونها . هي من عمل الشيطان قوله سئل احمد عنها فقال : ابن مسعود يكره هذا كله . قال شيخنا اكراهة في السلف اريد بها التحريم وربما يريد بها التنزيه ، واراد احمد انه يكره النشرة التي هي من عمل الشيطان ، كما يكره تعليق التمائم مطلقاً قوله وللبخاري عن قتادة الخ قوله « رجل به طب » اي سحر . يقال طُب الرجل اذا سحر ويقال كنوا عن السحر بالطب تفاؤلاً . كما يقال للديغ سليم . ويقال الطب من الاضداد يقال لعلاج الداء طب والسحر داء ويقال له طب . قوله « او يؤخذ عن امرأته » اي يحبس عن امرأته اي يحل عنه او ينشر . قوله « لا بأس به » يعني ان النشرة لا بأس بها اذا لم تعارض بما هو اصلح منها اي ازالة السحر ولم يتضمن محاذير ذكر الاصلاح وهذا ان ابن المسيب يحمل على النشرة لا يعلم انه سحر ويروى عن الحسن انه قال لا يحل السحر الا ساحر قوله وقال ابو القيم النشرة حل السحر الخ وما جاء في صفة النشرة الجائزة ما رواه ابن ابي حاتم

ساحر[1] . قال ابن القيم : النُّشْرة حَلُّ السحرِ عن المسحور ، وهي نوعان : حَلٌّ بسحر مثلِه ، وهو الذي من عملِ الشيطان ، وعليه يُحمَلُ قولُ الحسن ، فيتقرَّبُ الناشرُ والمنتشِرُ إلى الشيطان بما يحبُّ ، فيبطُل عمله عن المسحور . والثاني : النُّشرةُ بالرقيةِ والتعوُّذات والأدوية والدعواتِ المباحة ، فهو جائز .

فيه مسائل : (الأُولى) النهي عن النشرة ـ (الثانية) الفرق بين النهي عنه والمرخص فيه مما يزيل الإشكال .

١٢

وأبو الشيخ عبد الليث ابن أبي سليم قال : بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى ، قرأتُ إناءً فيه ماء ثم يُصَبُّ على رأس المسحور الآيات التي في سورة يونس ﴿ فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ﴾ (٨١) إلى قوله ﴿ ولو كره المجرمون ﴾ (٨٢) وقوله ﴿ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ﴾ إلى آخر الآيات الأربع ، وقوله ﴿ إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ وقال ابن بطال في كتاب وهب بن منبه : أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي ، والعواقل ثم يحسوا منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به يذهب عنه كل ما به وهو جيد إذا حبس عن أهله .

قلت وقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : والثاني النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز أي رحمه الله مثل هذا وعليه يُحمل كلام من أجاز النشرة من العلماء والحاصل أن ما كان منه بالسحر وما كان بالقرآن والدعوات والأدوية المباحة فجائز والله أعلم .

٢٨ - باب ما جاء في التطير(١)

٢٨

وقول الله تعالى: ﴿ ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾(٢)

وقوله: ﴿ قالوا طائركم معكم ﴾ الآية(٣)

قوله: باب ما جاء في الطيرة، أي من النهي عنه والوعيد فيه وأدخله في أبواب السواحر والكواهن، سماء الطير الظباء وغيرها وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم فنفاه الشارع وأبطله وأخبر أنه لا تأثير في جلب نفع أو دفع ضر وما كانت الطيرة من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب لكونها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته لتعلق القلب بها خوفا وطمعا ومنافاتها التوكل على الله الذي لا ينفع ولا يدفع غيره، واعتقاد النفع والضر في طائر ونحوه لا علم عنده ولا قصد منه لو أنه كان الشرك الأصغر فكيف به إذا بلغ الشرك ذكره المصنف ذكرها المصنف في كتاب التوحيد تحذيرا منها في كمال التوحيد. قوله: وقول الله تعالى ألا إنما طائرهم عند الله الآية، تعلق آل فرعون إذا أصابتهم الكسنة أي الخصب والسعة والعافية قالوا لنا هذه أي نحن الحقيقون به ونحن أهله وإن تصبهم سيئة أي بلاء وقحط يطيروا بموسى ومن معه فيقولوا هذا بسبب موسى وأصحابه أصابنا بشؤمهم. قال الله تعالى ألا إنما طائرهم عند الله، ما قضى عليهم وفي روايه شؤمهم عند الله ومن قبله أي إنما جاءهم الشؤم من قبله لكفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله. قوله: قالوا طائركم معكم، الآية المعنى مصائبكم وما تاكم من شر معكم بسبب أعمالكم وكفركم وتخالفكم طاعة الله نحن الظالم معه وجاء مع به من الشر فهو بسبب أعمالكم وذلك بقضاء الله وقدره، ومناسبة الآية للترجمة أن التطير من عمل الجاهلية المشركين وقد ذمهم الله تعالى ومقتهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التطير وأخبر أنه شرك كما سيأتي في أحاديث الباب.

٨

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « لا عَدْوَى ، ولا طِيَرَةَ ولا هامةَ ، ولا صَفَر » أخرجاه . زاد مسلم « ولا نَوْءَ ، ولا غُول »(١)

قوله عن أبي هريرة الخ . قوله لا عدوى ولا طيرة قال أبو السعادات يقال العدوى المرض يعدي إذا أصابه مثل ما بصاحب المرض وفي رواية لمسلم ذكر أبا هريرة كما في حديث الباب لا عدوى وحديث يحدث لا يورد ممرض على مصح ثم ذكر أبا هريرة أنكر الحديث لا يورد ممرض على مصح وأثبت حديث لا عدوى . وقد روى أحرون لا عدوى جماعة من الصحابة . وفي بعض روايات هذا الحديث وفر من المجذوم كما تفر من الأسد . وقد اختلف العلماء في وجه الجمع بين قوله لا عدوى وبين قوله لا يورد ممرض على مصح فقيل في قوله لا عدوى والبيهقي وابن القيم وغيرهم إن قوله لا عدوى على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى وأن هذه الأمور تعدي بطبعها . والصحيح أن الله جعل مخالطة المريض لغيره من الأصحاء سببا لحدوث ذلك فنفى الشارع ذلك وأبطله وقال لا عدوى كما تقدم في الحديث الآخر وقال لا يورد ممرض على مصح . وقال في الطاعون إنه رجز أرسل على طائفة فلا يقدم عليه وكل ذلك بتقدير الله تعالى ولأحمد والترمذي عن ابن مسعود لا عدوى ولا شيء فقال أعرابي يا رسول الله فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيجيء البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها كلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أجرب الأول فنفى العدوى والطيرة والهامة والصفر خلق الله كل نفس وكتب حياتها ورزقها وشقي أو سعيد ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن كل ذلك بقضاء الله وقدره والعبد مأمور باتخاذ أسباب الشر إذا كان في فعلها مفسدة فكما أنه يأمر أن لا يلقى نفسه في الماء وفي النار فكذلك جرت العادة أن المريض أو غيره فكذلك مخالطة المريض للمجذوم هو الغالب على الظن أن هذه كلها أسباب للمرض والتلف فالله سبحانه هو خالق الأسباب والمسببات وأما إذا قوي التوكل على الله والإيمان بقضاء الله وقدره قوي النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب اعتمادا على الله ورجاء أن الله لا يجعل

يؤمر في هذه الحال بجوز مباشرة ذلك له سيما إذا كانت معلقة بنابه أو خاصته

قوله «ولا طيرة» قال ابن القيم رحمه الله تعالى يحتمل أن يكون منفيًا أو نهيًا أي لا تطيروا

والنفي في هذا أبلغ من النهي لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره

والنهي إنما يدل على المنع منه وقد جاءت أحاديث أخر تدل على جواز

الطيرة كقوله صلى الله عليه وسلم «إنما الشؤم في ثلاث في المرأة والدابة والدار»

ونحو هذا قال ابن القيم رحمه الله تعالى: إخباره صلى الله عليه وسلم بالشؤم في هذه

الثلاث ليس خبرًا إثبات الطيرة التي نفاها الله سبحانه، وإنما هي إباحة الله

سبحانه قد يخلق شرًا أحيانًا في شيء على سبيل الشرط لا التأثير والإيجاد كما

لا يخلو مسكن أو مركب أو خادم أو زوجة إلا ويحصل بها نوع من الشر

ويخلو بعضها كثيرًا بقضاء الله وقدره.

قوله «ولا هامة» قال الخطابي: كانت العرب تزعم أن الميت يصير هامة

فتقول على قبره اسقوني اسقوني فإذا أدرك بثأره ذهب عنه. وقيل إن هامة

اسم طائر بعينه وهو الذي يسمى البومة إذا وقفت على بيت أحدهم يقول نعت لي نفسي أو أحد من أهل داري

فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله.

قوله «ولا صفر» هي هيئة تكون في البطن تصيب الماشية حتى الناس وهي أعدى

عند العرب من الجرب فأبطل الشرع ما كانوا يعتقدونه من العدوى

وقال آخرون: المراد به شهر صفر، والنسيء لما كانت أهل الجاهلية يحلونه

في النسيء كانوا يحلونه المحرم ويحرمون صفر مكانه. وقيل إن أهل

الجاهلية كانوا يتشاءمون في صفر، ويقولون إنه شهر منحوس قال ابن القيم

ولعل هذا القول أشبه الأقوال وكانوا يتشاءمون بصفر من جنس الطيرة

التي جاء الإسلام بنفيها فنفى ذلك عليهم كما نفى عليهم الإيمان

٣١ ـ بـاب

قول الله تعالى : ﴿ ومِنَ النّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْداداً يُحِبُّونَهُمْ كحُبِّ الله ﴾ الآية(٢)

وقوله : ﴿ قُلْ إِنْ كان آباؤكم وأَبناؤكم ـ إلى قوله ـ أَحبَّ إليكم مِنَ اللهِ ورسولِهِ ﴾ الآية(١)

عن أَنس ، أَن رسول الله ﷺ قال : « لا يُؤْمِنُ أَحدُكم حتّى أَكونَ أَحبَّ إليه مِنْ وَلَدِه ووالدِه والناس أَجمعين » أَخرجاه(٢)

ولهما عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثٌ من كنَّ فيه وَجَدَ بهنَّ حَلاوةَ الإيمان : أَنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أَحبَّ إليه مما سِواهما ، وأَن يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلاَّ لله ، وأَنْ يكرَهَ أَن يعودَ في الكفرِ بعدَ إذْ أَنقذَه اللهُ منه كما يَكرَهُ أَن يُقذَفَ في النار » .

وفي رواية « لا يَجِدُ أَحدٌ حلاوةَ الإيمان حتى » إلى آخره(١)

وعن ابن عباس قال : من أَحبَّ في اللهِ وأَبغضَ في اللهِ ، ووالى في الله ، وعادى في الله ، فإنما تُنالُ وَلايةُ اللهِ بذلك ، ولنْ يَجِدَ عبدٌ طعم الإيمان وإنْ كثرتْ صَلاتُه وصومُه ـ حتّى يكونَ كذلك ، وقد صارتْ عامَّةُ مُؤاخاةِ الناسِ على أَمرِ الدنيا ، وذلك لا يُجدِي على أَهلِهِ شيئا . رواه ابن جرير(١)

وقال ابنُ عباس في قوله : ﴿ وتقطَّعتْ بهمُ الأَسباب ﴾ قال : المودَّة(٢)

فيه مسائل : (الأولى) تفسير آية البقرة . (الثانية) تفسير آية براءة . (الثالثة) وجوب محبته ﷺ على النفس والأهل والمال . (الرابعة) أن نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام . (الخامسة) أن للإيمان حلاوة قد يجدها العبد وقد لا يجدها . (السادسة) أعمال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها . (السابعة) فهم الصحابي للواقع : أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا . (الثامنة) تفسير ﴿ وتقطعت بهم الأسباب ﴾ . (التاسعة) أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً . (العاشرة) الوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه . (الحادية عشرة) أن من اتخذ نداً تساوى محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر .

قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله الآية لما كانت لما كانت محبته سبحانه من أصل دين الإسلام الذي يدور عليه قطب رحاه فلما لا يكتمل وينقص ينقص توحيد الإنسان قوله باب قول الله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً الآية قال في شرح المنازل أخبر تعالى أن من أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية فإن أحداً لا يشبه هذا الند بخلاف ند المحبة فإنه أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في الحب والتعظيم واعلم أن المحبة على قسمين مشتركة وخاصة فالمشتركة ثلاثة أنواع أحدها محبة طبيعية كمحبة الجائع للطعام أو الظمآن للماء ونحو ذلك وهذه لا تستلزم التعظيم ، الثاني محبة رحمة وإشفاق كمحبة الوالد لولده الطفل وهذه أيضاً لا تستلزم التعظيم ، والثالث محبة أنس وألف وهي محبة الشركاء في صناعة أو علم أو تجارة أو سفر للبعضهم بعضاً كمحبة الأخوة بعضهم بعضاً فهذه الأنواع الثلاثة التي تصلح للخلق بعضهم في بعض ووجودها فيهم لا يكون شركاً في محبة الله ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلو والعسل وكان يحب نساءه وأحبهن إليه عائشة رضي الله عنها وكان يحب أصحابه وأحبهم إليه الصديق رضي الله عنه . القسم الثاني المحبة الخاصة التي لا تصلح إلا لله وهي أن يحب

العبد بغيره كأن يشرك معه غيره لا يغفره الله وهي محبة العبودية والذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة والإستقامة على غيره وهذه المحبة لا يجوز تعلقها على غير الله أصلا كما حققه ابن القيم رحمه الله تعالى وهي التي سوى المشركون بين الله تعالى وبين آلهتهم فيها وقوله والذين آمنوا أشد حبا لله وفي قوله أحدهما وهو الصحيح أن المعنى والذين آمنوا أشد حبا لله من محبة المشركين بالأنداد لله فإن محبة المؤمنين خالصة ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أنداده بقطعها والمحبة الخالصة أشد من المشركين والثاني والذين آمنوا أشد حبا لله من حب أصحاب الأنداد لأندادهم التي يحبونها من دون الله قال ابن القيم والقولان مترتبان على القولين في قوله يحبونهم كحب الله قوله وقول الله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم الآية أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتوعد من أحب أهله وماله وعشيرته وتجارته ومسكنه فآثرها أو بعضها على فعل ما أوجبه عليه من الأعمال التي يحبها الله تعالى ويرضاها كالهجرة والجهاد ونحو ذلك فلا بد من إيثار ما يحبه من عبده وإرادته على ما يحبه العبد ويريده فيحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه ويوالي فيه ويعادي فيه ويتابع رسوله صلى الله عليه وسلم كما تقدم في آية المحبة ونظائرها قوله وعنه أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم أي الإيمان الواجب والمراد كماله حتى يكون الرسول أحب إلى العبد من ولده ووالده والناس أجمعين.

وفي هذا الحديث أن الأعمال من الإيمان لأن المحبة في عمل القلب وفيه أن محبة الرسول واجبة تابعة لمحبة الله لازمة لها فإن محبة الله ولأجله تزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن وتنقص بنقصها وكل من كان حبا لله فإنما يحب في الله ولأجله كما يجب الإيمان والعمل الصالح فبهذا يحصل التمييز بين المحبة في الله ولأجله التي هي من كمال التوحيد وبين المحبة مع الله التي هي محبة الأنداد لما يتعلقه من قلوب المشركين من الألوهية التي لا تجوز إلا لله وحده لا شريك له.

قوله ولطاعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه أي ثلاث خصال قوله وجد بهن حلاوة الإيمان الحلاوة لذة القلب ونعيمه وسروره وهذا يجده أهل الإيمان في قلوبهم قوله أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما يعني ما يحبه الإنسان بطبعه كمحبة الولد والمال والأزواج ونحوها فمن علامات محبة الله ورسوله أنه يحب ما يحبه الله ويكره ما يكرهه الله ويؤثر مرضاته على ما سواه ويتابع رسوله ويمتثل أمره فمن آثر أمر غيره على أمره وخالف ما نهى عنه فذلك علم على عدم محبته لله ورسوله فإن محبة الرسول من لوازم محبة الله فمن أحب الله وأطاعه أحب الرسول وأطاعه ومن لا فلا كما في آية المحبة ومن لوازم محبة الله أيضاً محبة أهل طاعته كمحبة أنبيائه ورسله وأصالحيه من عباده قوله وأن يكره الخ أي يستوي عنده الأمران قوله وعن ابن عباس قال من أحب في الله الخ قوله من أحب في الله أي أحب أهل الإيمان بالله وطاعته من أجل ذلك وأبغضه في الله أي أبغضه من كفر بالله وأشرك به وفسق عن طاعته لأجل ما فعلوه مما يغضب الله وإن كانوا أقرب الناس إليه كما قال تعالى لا يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية قوله وولاء في الله هذا والذي قبله من لوازم محبة العبد لله تعالى فمن أحب الله أحب فيه وولى أولياءه وعادى أهل معصيته وأبغضهم قوله فإنما تنال ولاية الله بذلك أي توليه لعبده قوله ولن يجد عبد طعم الإيمان إلى آخره أي لا يحصل له ذوق الإيمان ولذته وسروره وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك أي حتى يحب في الله ويبغض في الله ويعادي في الله ويوالي فيه قوله لا يجدي الخ أي لا ينفعهم بل يضرهم قوله وقال ابن عباس في قوله وتقطعت بهم الأسباب قال المودة أي التي كانت بينهم في الدنيا فانقلبت أحوج ما كانوا إليها وتبرأ بعضهم من بعض.

٣٢ ـ بـاب

قول الله تعالى : ﴿ إنما ذلكمُ الشيطان يُخَوِّفُ أولياءَه ، فلا تخافوهمْ وخافونِ إنِ كنتمْ مُؤْمنين ﴾[١] وقوله : ﴿ إنما يَعْمُرُ مَساجدَ اللهِ مَن آمن بالله واليوم الآخر وأقامَ الصلاةَ وآتى الزكاة ولم يَخْشَ إلا الله ﴾ الآية[١] .

وقوله : ﴿ ومِنَ الناسِ مَنْ يقولُ آمنّا باللهِ فإذا أُوذيَ في اللهِ جَعلَ فِتنةَ الناس كعذابِ الله ﴾ الآية[٢] .

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا : « إنَّ من ضَعْفِ اليقينِ أنْ تُرْضيَ الناسَ بسَخَطِ الله ، وأن تحمدَهم على رزْقِ الله ، وأنْ تَذُمَّهم على مالم يُؤتِكَ الله . إنَّ رزقَ اللهِ لا يجرهُ حِرْصُ حَرِيص ، ولا يَرُدُّهُ كراهِيَةُ كارِه[١] » .

قول الله تعالى إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه الآية الخوف من أفضل مقامات الدين وأجمع أنواع العبادة يجب إخلاصه لله تعالى والخوف ثلاثة أقسام أحدها خوف السر وهو أن يخاف من طاغوت أن يصيبه بما يكره وهذا هو الواقع من عبادة القبور ونحوها وهذا ينافي التوحيد الثاني أن يترك الإنسان ما يجب عليه خوفا من بعض الناس وهذا محرم وهو نوع من الشرك بالله المنافي لكمال التوحيد وهو سبب نزول هذه الآية الثالث الخوف الطبيعي وهو الخوف من عدو أو سبع أو غير ذلك وهذا لا يذم وقوله فلا تخافوهم الآية هذا نهى من الله تعالى للمؤمنين أن يخافوا غيره وأمرهم أن يقصروا خوفهم على الله وهذا هو الإخلاص فدلت الآية على أن الإخلاص في الخوف من شروط الإيمان قوله إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية أخبر تعالى أن مساجد الله لا يعمرها إلا من آمن بالله واليوم الآخر الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم وأخلصوا لله الخشية دون ما سواه فلا تكون المساجد عامرة إلا بالإيمان الذي معظمه التوحيد مع العمل الصالح الخالص من شوائب الشرك والبدع وذلك كله داخل في مسمى الإيمان قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله الآية أخبر تعالى عن حال من جعل فتنة

وعن عائشةَ رضي الله عنها أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : « مَنِ

الْتَمَسَ رِضَى اللهِ بسَخَطِ الناس رَضِيَ اللهُ عنه وأَرضَى عنه الناس ، ومِن التمسَ رِضَى الناس بسَخَط الله سَخِطَ اللهُ عليه وأَسْخَطَ عليه الناس » رواه ابن حبَّان في صحيحه[1] .

إذا أمن عذاب الله الذي فرضه المؤمنون بالإيمان وإنما المؤمنون لكمال بصيرتهم فروا من عذاب الله إلى الإيمان وتحملوا ما فيه من الألم الزائل وهذا لضعف بصيرته فر من الم عذابهم إلى الم عذاب الله وفر من الم ساعة إلى الم الأبد وإذا نصر الله جنده وأولياءه قال إني كنت معكم والله أعلم بما انطوى عليه صدره من النفاق ومن الآية رد على المرجئة ووجه أنه لم ينفع هؤلاء قولهم آمنا بالله مع عدم صبرهم على أذى من عاداهم في الله وفيه الخوف من مداهنة العلماء في الحق والمعصوم من عصمه الله قوله وعن أبي سعيد مرفوعاً إلى من ضعف البقين الخ اليقين كمال الإيمان قوله أن يرضي الناس الخ أن تؤثر رضاهم على رضا الله وذلك إذا لم يقم بقلبه من إعظام الله وإجلاله وهيبته ما يمنعه من استجلاب رضا المخلوقين بما يجلب له سخط خالقه وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك قوله وأن تحمدهم على رزق الله أي ما وصل إليك من أيديهم بأن تضيفه إليهم وتحمدهم عليه فإنه المتفضل في الحقيقة هو الله وحده ولا ينافي هذا الحديث من لا يشكر الناس لا يشكر الله لأنه شكرهم إنما هو إلا بالدعاء لهم لكونه الله ساقه على أيديهم فتدعو لهم أو تكافئهم للحديث الذي صح الخ قوله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله لا تذمهم بقدر لك ما طلبته على أيديهم فإنه لو قدر لساقته المقادير فمن علم أن التقدير بالعطاء والمنع هو الله وحده بسبب وبلا سبب وعلم حيث أنه لا يحتسب لم يمدح مخلوقاً على رزقه ولم يذمه على منع

فيه مسائل : (الأولى) تفسير آية آل عمران . (الثانية) تفسير آية براءة (الثالثة) تفسير آية العنكبوت . (الرابعة) أن اليقين يضعف ويقوي . (الخامسة) علامة ضعفه ، ومن ذلك هذه الثلاث . (السادسة) أن إخلاص الخوف لله من الفرائض . (السابعة) ذكر ثواب من فعله . (الثامنة) ذكر عقاب من تركه .

ويفوض أمره إلى الله ويعتمد عليه وقد قرر هذا المعنى بقوله في الحديث إنه رزقه الله لا يجره حرص حريص إلى قوله وعند عائشة رضي الله عنها إلى قوله منه القسم أن طلب رضى الله قال شيخ الإسلام وكتب عائشة إلى معاوية وروى أنك رفعت منه أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئا هذا لفظ المرفوع ولفظ الموقوف منه أرضى الناس إلى وهذا من الفقه في الدين فإنه من أرضى الله بسخطهم كفاه الله وكان عبده الصالح والله يتولى الصالحين والله كافي عبده ويكفيه مؤنة الناس بلا ريب وأما كون الناس رضوا عنه فقد لا يحصل ذلك لكن رضوا عنه إذا سلم من الأغراض وإذا تبين لهم العاقبة وفي الحديث عقوبة من خاف الناس وآثر رضاهم على الله فإنه العقوبة قد تكون من الدنيا والعياذ بالله من ذلك كما قال تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون .

٣٣ ـ بـاب

قولِ الله تعالى : ﴿ وعلى اللهِ فتوكّلوا إنْ كنتمْ مُؤمنين ﴾[١] وقولِه : ﴿ إنّما المؤمنونَ الذين إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلتْ قلوبهم ﴾ الآية[١] . وقوله : ﴿ ياأيُّها النبي حَسْبُكَ الله ﴾ الآية[٢] . وقوله : ﴿ وَمنْ يَتَوَكّلْ على اللهِ فهو حَسْبُه ﴾[٣] .

عن ابن عباس قال : ﴿ حَسْبُنا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيل ﴾ قالها إبراهيم عليه السلامِ حين أُلقيَ في النار ، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا له : ﴿ إن الناسَ قد جمَعُوا لكم فاخْشَوْهُم فزادَهم إيمانا ﴾ الآية . رواه البخاري والنسائي[١] .

فيه مسائل : (الأولى) ان التوكل من الفرائض . (الثانية) أنه من شروط الإيمان . (الثالثة) تفسير آية الأنفال . (الرابعة) تفسير الآية في آخرها . (الخامسة) تفسير آية الطلاق . (السادسة) عظم شأن هذه الكلمة ، وأنها قول إبراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ في الشدائد .

قول الله تعالى وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين أراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة بالآية بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعالى وهو من أجمع أنواع العبادة وأعظمها فإنه إذا اعتمد على الله في جميع أموره الدينية والدنيوية دون كل ما سواه صح إخلاصه فلا يحصل كمال التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل على الله كما في هذه الآية قال ابن القيم فجعل التوكل شرطا من الإيمان قال الشارح رحمه الله تعالى قلت تكميل التوكل على الله قسمان أحدهما التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله كالذي يتوكل على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من نصر أو حفظ أو رزق أو شفاعة وهذا شرك أكبر الثاني التوكل في الأسباب الظاهرة كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله عليه من رزق أو دفع أذى ونحو ذلك فهذا نوع شرك أصغر والوكالة الجائزة هي توكيل الإنسان من يفعل ما يقدر عليه نيابة عنه كما ليس له أن يعتمد عليه في حصول ما وكل فيه بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو نائبه وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها ولا يعتمد عليها بل يعتمد على

المسبب الذى أوجد السبب والمسبب قوله وقول الله تعالى إنما المؤمنون
الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم الآية وصف المؤمنين حقاً بثلاث
مقامات من مقامات الإحسان وهى الخوف وزيادة الإيمان والتوكل
على الله وحده وهذه المقامات تقتضى كمال الإيمان، قوله يا أيها النبى
حسبك الله الآية أى الله وحده كافيك وكافى أتباعك وبهذا
يتبين مطابقة الآية للترجمة فإذا كان هو الكافى لعبده وجب أن لا يتوكل
إلا عليه قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال ابن القيم أى كافيه
ومن كفاه الله كفاه ووافاه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره وفى
فضل التوكل قوله وعن ابن عباس رضى الله عنه قال حسبنا الله الخ أى
كافينا فلا نتوكل إلا عليه ونعم الوكيل أى نعم الموكول إليه
قوله قال إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى فى النار قال تعالى
قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كونى برداً
وسلاماً على إبراهيم قوله وقال محمد صلى الله عليه وسلم حين
قالوا له إن الناس قد جمعوا لكم الآية وذلك بعد منصرف قريش
والأحزاب من أحد بلغه أن أبا سفيان ومن معه قد جمعوا
الكرة عليهم فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فى سبعين راكباً حتى انتهى
إلى حمراء الأسد فألقى الله الرعب فى قلب أبى سفيان فرجع إلى مكة
ومر ركب من عبد قيس فقال أين تريدون قالوا المدينة فقال
لهم فهل أنتم مبلغون عنى محمداً رسالة قالوا نعم قال فأخبروهم
إنا قد أجمعنا الكرة إليهم وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم فمر الركب
برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذى
قال أبو سفيان فقال حسبنا الله ونعم الوكيل فنزلت هاتان
الكلمتان فضل هذه الكلمة العظيمة وفى الحديث إذا وقعتم فى الشدائد
فقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل.

٣٤ ـ بـاب

قولِ الله تعالى : ﴿ أفأمِنُوا مَكْرَ اللهِ فلا يَأْمَنُ مكرَ اللهِ إلاَّ القومُ الخاسِرون ﴾[١] وقولِهِ : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِنْ رَحمةِ ربِّهِ إلاَّ الضالُّون ﴾[٢] .

عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن الكبائر فقال « الشِّركُ بالله ، واليأسُ من رَوْح الله ، والأَمنُ من مَكرِ الله »[١].

وعن ابن مسعود قال : أكبرُ الكبائرِ الإشراكُ بالله ، والأَمنُ من مَكرِ الله والقُنوطُ من رَحمةِ الله ، واليأسُ من رَوْحِ الله . رواه عبد الرزاق[٢].

فيه مسائل (الأولى) تفسير آية الأعراف . (الثانية) تفسير آية الحجر (الثالثة) شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله . (الرابعة) شدة الوعيد في القنوط .

قول الله تعالى أفأمنوا مكر الله الآية قال المصنف رحمه الله تعالى بهذه الآية التنبيه على أنه الأمن من مكر الله من أعظم الذنوب وأنه ينافي كمال التوحيد كما أن القنوط من رحمة الله كذلك وذلك يرشد أنه ينبغي للعبد أن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء ومعنى الآية أن الله تعالى لما ذكر حال أهل القرى المكذبين للرسل بين أنه الذي حملهم على ذلك هو أمنهم مكر الله وعدم الخوف منه وذلك أنهم أمنوا مكر الله لما استدرجهم بالسراء والنعم فاستبعدوا أن يكون ذلك مكراً قال الحسن من وسع الله له فلم ير أنه يمكر به فلا رأى له وقال قتادة بغتة القوم أمر الله وما أخذ الله قوماً قط إلا عند سلوتهم وتخفرهم وعزتهم فلا تغتروا بالله قوله ومن يقنط من رحمة ربه الآية القنوط استبعاد الفرج واليأس منه وهو يقابل الأمن من مكر الله وكلاهما ذنب عظيم وتقدم ما فيه لمنافاته لكمال التوحيد هذه الآية مع التي قبلها تدل على أنه لا يجوز لهم خاف الله

أنه يقنط من رحمته بل يكون خائفاً راجياً يخاف ذنبه ويعمل بطاعته ويرجو رحمته ، قوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر قوله قال الشرك بالله هو الكبائر قوله واليأس من روح الله أي قطع الرجاء والأمل من الله فيخافه ويرجوه وذلك إعادة ظن بالله قوله والأمن من مكر الله أي من استدراج الله للعبد وسلبه ما أعطاه من الإيمان وذلك جهل بالله وبقدرته وثقة بالنفس وعجب بها قوله وعن ابن مسعود الخ قوله والقنوط من رحمة الله هو شدة اليأس وفيه التنبيه على الرجاء والخوف وكان السلف يحبون أن يقوا في الصحة الخوف وفي المرض الرجاء قال سليمان وينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف فإذا غلب الرجاء فسد القلب قال تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجد وقائم يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقدم الخوف في هذه الآية .

٣٥ ـ باب مِنَ الإيمان بالله الصبرُ على أقدارِ الله(١)

وقولِ الله تعالى : ﴿ ومَنْ يُؤمِنْ باللهِ يَهْدِ قلبه ﴾(٢).

قال عَلْقَمَةُ : هوَ الرجلُ تصيبه المصيبةُ فيعلمُ أنَّها من عند الله فيرضىٰ ويُسَلِّم(٣).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال : « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعنُ في النسب ، والنياحةُ على الميت(١).

ولهما عن ابن مسعود مرفوعا : « ليس منَّا من ضربَ الخُدود ، وشق الجيوب ودعا بدعوىٰ الجاهلية(٢) » .

وعن أنس أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إذا أراد اللهُ بعبده الخيرَ عجَّلَ له العقوبةَ في الدنيا ، وإذا أراد بعبدِه الشر أمسكَ عنه بذَنْبه حتى يُوافَى به يومَ القيامة »(١) وقال النبي ﷺ : « إنَّ

من الإيمان بالله الصبر على قدر الله قال أحمد ذكر الله الصبر في تسعين موضعاً من كتابه وفي الحديث الصبر ضياء قال علي رضي الله عنه الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ثم رفع صوته فقال ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له واعلم أن الصبر ثلاثة أقسام صبر على ما أمر الله به وصبر عما نهى الله عنه وصبر على ما قدره الله من المصائب والصبر حبس النفس عن الجزع وحبس اللسان عن الشكوى والتحفظ وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوها قوله ومن يؤمن بالله يهد قلبه أول الآية ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله أي بمشيئته وإرادته وحكمته وقال ابن عباس إلا بأمر الله يعني من قدره ومشيئته ومن يؤمن بالله يهد قلبه أي ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله جازاه الله تعالى بهداية قلبه وقد يخلف عليه أيضاً في الدنيا

عِظَم الجزاءِ مع عِظَم البلاءِ ، وإنَّ الله تعالى إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم ، فمن رَضِي فله الرِّضا ، ومن سَخِط فله السخط » حسّنه الترمذي(١).

فيه مسائل : (الأولى) تفسير آية التغابن . (الثانية) أن هذا من الإيمان بالله (الثالثة) الطعن في النسب . (الرابعة) شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية . (الخامسة) علامة إرادة الله بعبده الخير . (السادسة) علامة حب الله للعبد . (الثامنة) تحريم السخط . (التاسعة) ثواب الرضا بالبلاءِ .

ما أخذ منه أو ضرا منه ومن الآية بيانه أنه الصبر سبب الهداية القلب وإنه منه ثواب الصابر قوله قال علقمة الخ فيه دليل على أنه الأعمال من مسمى الإيمان قوله وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة الخ قوله الطعن في النسب أي عيبه ويدخل فيه أنه يقال هذا ليس ابن فلان مع ثبوت نسبه قوله والنياحة على الميت أي رفع الصوت بالندب ما فيه من التسخط على القدر المنافي للصبر وفيه دليل على أنه الصبر واجب وأنه من الكفر بالا ينقل عن الملة قوله وعنه عن ابن مسعود مرفوعا ليس منا الخ قوله منه ضرب الخدود وشق الجيوب وذلك من عادة أهل الجاهلية حزنا على الميت قوله ودعا بدعوى الجاهلية هو ندب الميت وليس في هذه الأحاديث ما يدل على النهي عن البكاء لما في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات إبنه إبراهيم قال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضى الرب وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون قوله وعنه أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا أراد الله بعبده الخير الخ قوله عجل له العقوبة أي يصب عليه البلاء والمصائب لما فرط منه الذنوب منه فخرج منه وليس عليه ذنب يوم به يوم القيامة قال شيخ الإسلام المصائب نعمة لأنها مكفرات للذنوب

وتعوّد الصبر فيثاب عليه وتقتضي الإنابة إلى الله والذل له والإعراض عن الخلق لما في ذلك من المصالح العظيمة إلى أنه قال ومن بعض فعل الرب عز وجل ورحمة الخلق والله تعالى محمود عليه فمن ابتلى فرزقه الصبر كان الصبر عليه نعمة في دينه قوله وإذا أراد الله بعبده الخير أعسله الخ أي أخر عنه العقوبة بذنبه حتى يوفى به يوم القيامة قوله وقال النبي صلى الله عليه وسلم إن عظم الجزاء الخ قوله مع عظم البلاء إذا احتسب وصبر قوله وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ولهذا ورد في حديث سعد سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه قوله فمن رضي فله الرضا أي من الله قوله ومن سخط السخط الكراهة للشيء وعدم الرضا به أي من سخط على الله فيما قدره فله السخط أي من الله وكفى بذلك عقوبة وقد يستدل به على وجوب الرضا قال شيخ الإسلام وأعلى من ذلك أي من الرضا أن يشكر الله على المصيبة لما يرى من إنعام الله عليه بها إنتهى كلامه.

وقولِ اللهِ تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ الآية[٢] .

بـاب ما جاءَ في الرِّياءِ[١]

عن أَبي هريرة مرفوعا قال الله تعالى : « أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عن الشرك ، من عَمِلَ عملاً أَشْرَكَ معي فيه غيري تَرَكْتُه وشِرْكَه » . رواه مسلم[٣] .

وعن أَبي سعيد مرفوعا : « أَلا أُخبرُكم بما هو أَخْوَفُ عليكم عندي من المسيح الدَّجّال » ؟ قالوا : بلى يارسول الله . قال : « الشِّرْكُ الخفيُّ ، يقومُ الرجلُ فيصلِّي ، فيُزَيِّن صَلاتَه لِما يَرَى مِن نظَرِ رَجُلٍ » رواه أَحمد[١] .

قوله ما جاء في الرياء أي من الذم والتحذير وهو إظهار العبادة لقصد رؤية الناس له فيحمدوه صاحبه والفرق بينه وبين السمعة إن الرياء لما يرى من العمل كالصلاة والسمعة لما يسمع كالقراءة والوعظ والذكر ويدخل في ذلك التحدث بعمله قوله وقول الله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد الآية أي ليس لي شيء من الربوبية ولا من الألوهية الآية شيء بل ذلك كله لله وحده أوحاه إلى نبيه كما به يرجو لقاء ربه أي يخافه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وهذا العموم يتناول الأنبياء والملائكة والصالحين وغيرهم قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الآية أي كما أنه إله واحد لا إله سواه فكذلك تتضمن أن تكون العبادة له وحده لا شريك له فكما تفرد بالألوهية يجب أن ينفرد بالعبودية فالعمل الصالح هو الخالص من الرياء المقيد بالسنة قوله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك في عمل عمل أشرك فيه معي غيري أي قصد بعمله غيري من المخلوقين تزكية وشركة قال ابن رجب وعلم أن العمل لغير الله أقسام فتارة يكون رياء محضا كحال المنافقين كما قال تعالى يراءون الناس الآية وهذا الرياء لحبط لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام وقد يصدر في الصدقة والحج الواجب أو غيرها من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها فإنه الإخلاص فيها عزيز وهذا العمل لا يشك مسلم في أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت

فيه مسائل : (الأولى) تفسير آية الكهف . (الثانية) الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيءٌ لغير الله . (الثالثة) ذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى . (الرابعة) أن من الأسباب أنه خير الشركاء . (الخامسة) خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء . (السادسة) أنه فسر ذلك بأن المرء يصلي لله لكن يزينها لِما يرى من نظر رجل إليه .

من الله والعقوبة وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء فإنه شاركه من أصله فالنصوص تدل على بطلانه ثم قال فإنه خالط نية الجهاد مثلاً نية غير الرياء مثل أخذ أجرة للخدمة أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة نقص ذلك جهاده ولم يبطل بالكلية قال ابن رجب وقال أحمد والمستأجر والمكري أجرهم على قدر ما ينالهم من نياتهم في غزواتهم ولا يكون كمن جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره وقال أيضاً فيمن أخذ جعل الجهاد إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس كأنه خرج لدينه أعطي شيئاً أخذه وروى عن مجاهد أنه قال في حج الجمال وحج الأجير وحج التاجر هو تام لا ينقص من أجرهم شيء أي لأن قصدهم الأصلي كما هو الحج دون التكسب قال وأما من كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه الرياء فإنه كان خاطراً ثم دفعه فلا يضره بغير خلاف وإنه استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا فيجازى على أصل نيته في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير ورجحا أنه عمله لا يبطل بذلك قوله عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً ألا أخبركم الخ قوله إشراك الخفي أي لأنه صاحبه ينظر عمله لله وقد قصد به غيره أو شركه فيه بتزيين صلاته لأجله وفي الحديث شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته وأنه الرياء أخوف على الصالحين من فتنة الدجال فإذا كان صلى الله عليه وسلم يخاف على سادات الأولياء مع قوة إيمانهم وعلمهم فغيرهم أولى بالخوف من الشرك أصغره وأكبره .

٣٧ - بـاب مِنَ الشركِ إرادة الإنسانَ بعمله الدنيا[1]

وقولِ الله تعالى : ﴿ من كان يُرِيدُ الحياةَ الدنيا وزِينتها نُوَفِّ إليهم أعمالهم فيها ﴾ الآيتين[2] .

في الصحيح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : تَعِسَ عبدُ الدِّينار ، تعسَ عبدُ الدِّرْهم ، تعسَ عبدُ الخَمِيصة ، تعسَ عبدُ الخَمِيلة : إن أُعْطِيَ رَضِيَ ، وإنْ لم يُعْطَ سَخِط . تعسَ وانتَكَسَ ، وإذا شِيكَ فلا انْتَقَش[1] . طوبى لعبدٍ آخذٍ بِعِنانِ فَرَسِه في سبيلِ الله ، أَشعثَ رأسُه ، مغبرةٍ قَدَماه ، إن كان في الحِراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقةِ كان في الساقةِ ، إنِ استأذَنَ لم يُؤْذَنْ له ، وإن شَفَعَ لم يُشفَع[1] » .

فيه مسائل : (الأولى) إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة . (الثانية) تفسير آية هود . (الثالثة) تسمية الإنسان المسلم عبد

من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا أراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة أن العمل لأجل الدنيا شرك ينافي كمال التوحيد الواجب ويحبط الأعمال وهي أعظم من الرياء قوله وقول الله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآية قال ابن عباس من كان يريد الحياة الدنيا أي ثوابها وزينتها أي مالا نوف أي نوفر لهم ثواب أعمالهم بالصحة والسرور في الأهل والولد وهم فيها لا يبخسون ثم نسخ ذلك آية كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قوله ثم نسخها أي قيدتها فلم تعم الآية على إطلاقها وقال قتادة بقوله من كانت الدنيا همه وطلبته ونيته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة قوله وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعس الخ قال أبو السعادات يقال تعس إذا عثر وانكب لوجهه دعاء عليه بالانتكاس قوله عبد الدينار هو المعروف منه الذهب تعس عبد الدرهم هو منه الفضة قد يراد الكثرة وزنا تعس عبد الخميصة ثوب خز أو صوف معلم قوله تعس عبد الخميلة بفتح الخاء ذات الخمل ثياب لها

الدينار والدرهم والخميصة . (الرابعة) تفسير ذلك بأنه إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط . (الخامسة) قوله : « تعس وانتكس » . (السادسة) قوله : « وإذا شيك فلا انتقش » . (السابعة) الثناءُ على المجاهد الموصوف بتلك الصفات .

محل منه أي شيء كما قوله تعس وانتكس قال الطيبي فيه الترقي من الدعاء عليه لأنه إذا تعس انكبّ على وجهه وإذا انتكس انقلب على رأسه بعد أن سقط وإذا شيك فلا انتقش أي إذا أصابته شوكة فلا يقدر على إخراجها بالنقاش قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الدينار والدرهم وذكر فيه ما هو دعاء بلفظ الخبر وهو قوله تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش وهذه حال من أصابه شر لم يخرج منه ولم ينفك لكونه تعس وانتكس فلا نال المطلوب ولا خلص من المكروه وهذه حال من عبد المال إلى أن قال وهذا هو العبد لهذه الأمور ولو طلبها من الله فإن الله إذا أعطاه إياها رضي وإن منعه إياها سخط قوله طوبى قيل اسم الجنة وقيل شجرة في قوله آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أي في جهاد المشركين قوله أشعث رأسه وهو طائر الرأس أشغله الجهاد عن التنعم وتسريح الشعر قوله مغبرة قدماه إلى كان في الحراسة أي حماية الجيش أن يهجم العدو عليهم كان في الحراسة أي غير مقصر وإن كان في الساقة أي مؤخر الجيش لقلب نفسه في مصالح الجيش فكل مكانه يوافقه وإن كان ليلاً أو نهاراً رغبة في ثواب الله وطلبا لمرضاته قال الجوزي وهو خامل الذكر لا يقصد السمو قوله إن استأذن أي على الأمراء ونحوهم لم يأذنوا له لأنه لا جاه له عندهم ولا منزلة لأنه إنما يطلب ما عند الله لا يقصد بعمله سواه وإن شفع لم يشفع يعني لو ألجأته الحال إلى أن يشفع فولاه في أمر يحبه الله ورسوله لم تقبل شفاعته عند الأمراء ونحوهم

لعدم حاصه عندهم وفي الحديث رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره قال الحافظ فيه ترك حب الرياسة والشهرة وفضل الخمول والتواضع وفيه فضل الحراسة في سبيل الله وفي الحديث حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها.

٣٨ - بـاب من أطاعَ العلماءَ والأُمراءَ في تحريم ما أَحلَّ الله أو تحليل ما حرَّمه فقد اتَّخذَهم أرباباً (١)

وقال ابنُ عباس : يُوشِكُ أَن تنزلَ عليكم حِجارَةٌ من السماءِ ، أَقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أَبو بكر وعمر(٢). وقال أَحمدُ بن حَنْبَل : عَجِبْتُ لقوم عَرَفوا الإِسنادَ وصِحَّتَه ، يذهبون إلى رأْيِ سُفيان ، واللهُ تعالى يقول : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الذين يُخالِفونَ عن أَمرِه أَنْ تُصيبَهم فِتنةٌ أَو يُصيبَهم عَذابٌ أَلِيم ﴾ أَتدري ما الفتنة ؟ الفتنةُ الشرك ، لعله إِذا ردَّ بعض قوله أَن يقعَ في قلبه شيءٌ من الزَّيْغ فيهلك(٣).

عن عَدِيِّ بن حاتم أَنه سمعَ النبي ﷺ يقرأُ هذه الآية : ﴿ اتَّخَذُوا أَحبارَهم ورُهبانَهم أَرباباً مِّن دون الله ﴾ الآية ، فقلت له إِنَّا لسنا نعبُدهم ، قال : « أَليس يُحرِّمون ما أَحلَّ الله ، فتحرِّمونه ويُحِلون ما حرَّم الله ، فتحلُّونه ؟ فقلت : بلى ، قال : فتلك عبادتهم » رواه أَحمد والترمذي وحسنه(١).

قوله ما اتخذوهم لهم بالعبادة له إنا لسنا نعبدهم قال ألم يحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فتلك عبادتهم وأنه لا يجب طاعة العلماء إلا إذا علم أن طاعتهم إستقلالا والمقصود هنا الطاعة الخاصة في تحريم الحلال وتحليل الحرام منه أطاع مخلوقا في ذلك غير الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه لا يطاع عن الهوى فهو مثل قوله وقال ابن عباس يوشك

فيه مسائل : (الأولى) تفسير آية النور . (الثانية) تفسير آية براءة . (الثالثة) التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عديّ . (الرابعة) تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر وتمثيل أحمد بسفيان . (الخامسة) تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال وتسمى الولاية .. وعبادة الأحبار هي العلم والفقه ، ثم تغيرت الأحوال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين ، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين .

أعلم يقرب ويسرع جوابا لمن قال له إنه أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لا يريان التمتع بالعمرة إلى الحج وعرياه أنه إفراد الحج أفضل فلهذا قال ابن عباس لما عارضوا الحديث برأي أبي بكر وعمر يوشك الخ وقد أجمع العلماء على أنه متى استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد وما زال العلماء رحمهم الله يحتجون بهذا في الوقائع فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر لكنه إذا استبانه لهم الحديث أخذوا به وتركوا اجتهادهم قوله وقال أحمد عجبت لقوم عرفوا الإسناد الخ فإذا صح إسناد الحديث فهو صحيح وسفيانه هو الثوري الإمام الزاهد العابد الفقيه فقول الإمام أحمد عجبت الخ إنكار منه لذلك وأنه يؤول إلى زيغ القلوب الذي يكون به المرء كافرا قوله أو يصيبهم في عاجل الدنيا عذاب أليم الله موجع على ظلمهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله وعنه عدي ابن حاتم رضي الله عنه الخ وفي الحديث دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم ومن دون الله الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله كما قال تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون وقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق إلى قوله وإن أطعتموهم إنكم لمشركون وهذا قد وقع فيه كثير من الناس مع من قلدوهم لعدم اعتبار الدليل إذا خالف المقلد وهو من هذا الشرك وأما طاعة الأمراء ومتابعتهم فيما يخالف ما شرعه الله ورسوله فقد عمت به البلوى قديما وحديثا فقال تعالى فإنه لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتبعون أهواءهم الآية وقال عمر رضي الله عنه في

حد الإسلام يدور عليه المعالم وحد المنافق بالقرآن وحكم الأئمة المضلين
وإن الدماء، جعلنا الله وإياكم ممن الذين يهتدون بالحق وبه يعدلون.

٣٩ - باب قول الله تعالى: ﴿ ألم تَرَ إلى الذين يَزْعُمون أنَّهم آمَنوا بما أُنزل إليك وما أُنزِلَ من قَبْلِكَ يُريدون أن يَتحاكموا إلى الطَّاغُوت[1]، وقد أُمروا أن يكفروا به، ويُريدُ الشيطانُ أن يُضِلَّهم ضلالا بعيدا ﴾ الآيات. وقوله: ﴿ وإذا قِيلَ لهم لا تُفْسدوا في الأرضِ قالوا إنما نحنُ مُصْلِحون ﴾[1]. وقوله: ﴿ ولا تُفْسِدوا في الأرض بعد إصلاحِها ﴾[1]. وقوله: ﴿ أفحُكْم الجاهليَّةِ يَبْغون ﴾ الآية[2]. عن عبد الله بن عمرو أن رسولَ الله ﷺ قال: « لا يؤمنُ أحدُكم حتى يكونَ هَواهُ تبعاً لما جئتُ به » قال النَّووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح[1].

قوله قول الله تعالى ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به الآيات لما كان التوحيد الذي هو شهادة أن لا إله إلا الله مشتملا على الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم مستلزما له وذلك هو الإسلام بتمامه ولهذا جعلها النبي صلى الله عليه وسلم ركنا واحدا في قوله بني الإسلام على خمس الحديث بوب في هذا الباب على ما تضمنه التوحيد واستلزمه من تحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم في موارد النزاع إذ هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله والإذعان الذي لا بد منه لكل مؤمن وبنبه على معنى شهادة أن محمدا رسول الله فإنها تتضمن أنه عبد لا يعبد ورسول لا يكذب بل يطاع ويتبع ومن لوازم ذلك متابعته وتحكيمه في موارد النزاع وترك التحاكم إلى غيره وبذلك يتحقق العبد بكمال التوحيد وكمال المتابعة وذلك هو كمال سعادته وهو معنى الشيء دثيه إذا تبين هذا فمعنى الآية المترجم بها أن الله تعالى أنكر

وقال الشَّعْبيّ : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خُصومة ، فقال اليهودي : نتحكام إلى محمد ـ عَرفَ أنه لا يأخذ الرِّشوة ـ وقال المنافق : نتحاكم إلى اليهود . لعلمه أنهم يأخذون الرشوة . فاتفقا أن يأتيا كاهنا في جُهَينة فيتحاكما إليه ، فنزلتْ: ﴿ أَلم تَرَ إلى الذين يَزْعُمون ﴾ الآية وقيل نزلتْ في رجُلين اختصما فقال أحدهُما : نترافع إلى النبي ﷺ ، وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف . ثم ترافعا إلى عمر ، فذكر له أحدهما القصة ، فقال للذي لم يرضَ برسول الله ﷺ : أكذلك ؟ قال : نعم . فضربه بالسيف فقتله[1] .

على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء قبله وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم من فصل الخصومة إلى غير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال ابن القيم والطاغوت كل ما تعدّى به حده من الطغيان وهو مجاوزة الحد فكل ما تحاكم إليه متنازعان غير كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو طاغوت إذ قد تعدى به حده ممن تحاكم ما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله أو طلب ذلك اتباعاً لما يهواه ويريده فقد خلع الإسلام والإيمان من عنقه وإن زعم أنه مؤمن فإن الله تعالى أنكر على من أراد ذلك وأكذبهم في زعمهم الإيمان بمقتضى هذا قوله وقد أمروا أن يكفروا به لأنه الكفر بالطاغوت ركنه التوحيد كما في آية البقرة فإنه لم يحصل هذا الركن لم يكن موحداً والتوحيد هو أساس الإيمان الذي تصلح به جميع الأعمال وتفسد بفقد قوله ويريد الشيطان أن يضلهم الآية يبين تعالى أن التحاكم إلى الطاغوت مما يأمر به الشيطان ويزينه لمن أطاعه ويبين أن ذلك مما أضل به الشيطان من أضله قوله وإذا قيل لهم تعالوا الآية يبين تعالى أن هذه صفة المنافقين وأصدوه بمعنى يعرضون قوله وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون يعني لا تعصوا في الأرض لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية الله فقد أفسد في الأرض ومناسبة الآية للترجمة أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين وهو من الفساد في الأرض وقوله لا تفسدوا في الأرض

فيه مسائل : (الأولى) تفسير آية النساءِ وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت . (الثانية) تفسير آية البقرة : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض ﴾ . (الثالثة) تفسير آية الأعراف : ﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ﴾ . (الرابعة) تفسير : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾ . (الخامسة) ما قاله الشعبيّ في سبب نزول الآية الأولى (السادسة) تفسير الإيمان الصادق والكاذب (السابعة) قصة عمر مع المنافق (الثامنة) كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاءَ به الرسول ﷺ .

بعد إصلاحه قال أكثر المفسرين لا تفسدوا فيه بالمعاصي ومطابقة هذه الآية للترجمة أنه التحاكم إلى غير الله من أعظم ما يفسد الأرض من المعاصي فلا صلاح لها إلا بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قوله أفحكم الجاهلية يبغون الآية قال ابن كثير بنكر تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كل خير وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات كما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن ملكهم الذي وضع لهم كتابا مجموعا من أحكام وأشياء من مبادئ شتى وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظره وصار في بنيه شرعا يقدمونه على الحكم بالكتاب والسنة ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير قوله ومن أحسن من الله حكما أي لا حكم أحسن أي ومن أعدل من الله حكما لمن عقل عن الله شرعه وآمن وأيقن أنه تعالى أحكم الحاكمين قوله عن عبد الله بن عمرو الخ قوله لا يؤمن أحدكم أي لا يكون من أهل كمال الإيمان الواجب الذي وعد الله أهله عليه بدخول الجنة والنجاة من النار قوله حتى يكون هواه الخ الهوى بالقصر أي ما يهواه وتحبه نفسه وتميل إليه فإنه كان الذي يحبه وتميل إليه نفسه ويعمل به تابعاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لم يخرج عنه وهذه صفة أهل الإيمان المطلق ومن كان بخلاف ذلك

أو في بعض أحواله أو أكثرها انتفى عنه صفة الإجادة كما هو الواجب والمناسبة

٤٢ ـ باب قول الله تعالى: ﴿فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون﴾[1].

قال ابن عباس في الآية: الأندادُ هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صَفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتكَ يافلان وحياتي وتقول لولا كُلَيْبةُ هذا لأتانا اللصوص، ولولا البطُّ في الدار لأتى اللصوص. وقول الرجُل لصاحبه: ما شاءَ الله وشئتَ، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانا، هذا كله به شرك[1]. رواه ابن أبي حاتم.

باب ٤٢

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «مَن حَلَفَ بغير الله فقد كفر، أو أشرك» رواه الترمذي وحسّنه، وصحّحه الحاكم[2].

وقال ابن مسعود: لأَنْ أحلِفَ باللهِ كاذبا أحبُّ إليَّ مِن أنْ أحلِفَ بغيره صادقا[3].

وعن حُذَيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاءَ اللهُ وشاءَ فلان، ولكن قولوا: ما شاءَ اللهُ ثم شاءَ فلان» رواه أبو داود بسند صحيح[1].

وجاء عن إبراهيم النَّخَعِيّ أنه يكره: أعوذُ بالله وبك، ويجوز أن يقول: باللهِ ثم بك. قال: ويقول لولا اللهُ ثم فلان، ولا تقول [illegible]

قوله: باب قول الله تعالى «فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون» اعلم أنه من تحقيق التوحيد الإحتراز من الشرك بالله من الألفاظ وإنه لم يقصد المتكلم بكذا معنى لا يجوز بل ربما تجرى على لسانه من غير قصد كما يجرى على لسانه شيء من الشرك الأصغر لا يقصده فإنه قلت: الآية نزلت في الشرك الأكبر قيل السلف يحتجون بما نزل في الأكبر على الأصغر كما فسره ابن عباس وغيره فيما ذكر المصنف عنه وفسرها أيضا في الشرك الأكبر وفسرها عليه بشرك

٤٢ ـ باب قول الله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾[1] .

قال ابن عباس في الآية : الأندادُ هو الشرك ، أخفى من دبيب النمل على صَفاة سوداء في ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله وحياتكَ يافلان وحياتي وتقول لولا كُلَيْبةُ هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البطُ في الدار لأتى اللصوص . وقولِ الرجُل لصاحبه : ما شاءَ الله وشئتَ ، وقول الرجل : لولا الله وفلان . لا تجعل فيها فلانا ، هذا كله به شرك[1] . رواه ابن أبي حاتم .

باب ٤٢

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « مَن حَلَفَ بغير الله فقد كفر ، أو أشرك » رواه الترمذي وحسَّنه ، وصحّحه الحاكم[2] .

وقال ابن مسعود : لأنْ أحلِفَ باللهِ كاذبا أحبُّ إليَّ مِن أنْ أحلِفَ بغيره صادقا[3] .

وعن حُذَيفةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تقولوا : ما شاءَ اللهُ وشاءَ فلان ، ولكن قولوا : ما شاءَ اللهُ ثم شاءَ فلان » رواه أبو داود بسند صحيح[1] .

وجاء عن إبراهيم النَّخَعِيّ أنه يكره : أعوذُ بالله وبك ، ويجوز أن يقول : باللهِ ثم بك . قال : ويقول لولا اللهُ ثم فلان ، ولا تقولوا : لولا اللهُ وفلان[2] .

فيه مسائل : (الأولى) تفسير آية البقرة في الأنداد . (الثانية) أن الصحابة يفسرون آية النازلة في الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر . (الثالثة) أن الحلف بغير الله شرك . (الرابعة) أنه إذا حلف بغير الله صادقاً فهو أكبر من اليمين الغموس . (الخامسة) الفرق بين الواو وثم في اللفظ .

قوله . باب قول الله تعالى ... الإحتراز منه الشرك بالله لسانه بغير قصد كما يجري

نزلت في الأكبر قيل السلف يحتجون بما نزل في الأكبر على الأصغر كما فسره ابن عباس وغيره فيما ذكر المصنف عنه وفسرها أيضا في الشرك الأكبر وفسرها غيره بشرك

٤١ ـ بـاب قولِ الله تعالى : ﴿ يَعْرِفونَ نِعمةَ الله ثم يُنْكِرونها ﴾ الآية

قال مجاهد ما معناه : هو قولُ الرجل : هذا مالي ورثته عن آبائي وقال عَوْنُ بن عبد الله : يقولون لولا فلان لم يكن كذا . وقال ابن قُتيبة : يقولون هذا بشفاعة آلهتنا وقال أبو العباس بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه : « إنَّ الله تعالى قال : أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافر » الحديث ، وقد تقدم ـ : وهذا كثيرٌ في الكتاب والسنة ، يذُمُّ سبحانه من يُضيفُ إنعامَه إلى غيره ، ويشركُ به[٢] . قال بعض السَّلَف : هو كقولهم كانتِ الريحُ طيبةً والملاَّحُ حاذقا ، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألْسِنة كثير .

فيه مسائل : (الأولى) تفسير معرفة النعمة وإنكارها . (الثانية) معرفة أن هذا جار على ألسنة كثير . (الثالثة) تسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة . (الرابعة) اجتماع الضدين في القلب .

قوله قول الله تعالى يعرفونه نعمة الله ثم ينكرونها .. الآية . المراد بقوله الترجمة التأدب مع جانب الربوبية عن الألفاظ الشركية المخفية كنسبة النعم إلى غير الله تعالى قوله يعرفونه نعمة الله ثم ينكرونها ذكر المصنف رحمه الله ما ذكره العلماء في معناها والآية تعم ما ذكره العلماء ، قوله وقد تقدم في باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء وبكلام شيخ الإسلام يدل على أنه حاكم هذه الآية من نسب النعم إلى غير الله الذي أنعم بها وإسناد أسبابها إلى غيره كما هو مذكور في كلام المفسرين المذكور بعضه هنا قال الشيخ وفيه اجتماع الضدين في القلب وتسمية هذا الكلام إنكارا للنعمة قوله يعرفونه . الآية . ذكر المصنف ما ذكره بعض العلماء في معناها قال ابن جرير عن السدي يعرفونه نعمة الله ثم ينكرونها قال محمد وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم يعرفون ما أعد الله في هذه السورة من النعم من عند الله وأنه الله هو المنعم عليهم في ذلك ولكنهم ينكرون ذلك غير معرفين أنهم ورثوه عن آبائهم قوله .

سفيان إعتقاده وكلامه معاوية بن أبي سفيان سئل عنه ... للاحتراز عن الغرائب والتساهل في النقل
وكل هذا محافظة على لزوم الثبات على الصراط المستقيم وترك كل ما هو وسيلة إلى الخروج عنه قوله:
حدثوا الناس بما يعرفون. قال الحافظ زاد أبو أيوب وادعوا ما ينكرون قال وفيه دليل على أن
المتشابه لا يذكر عند العامة ومثله حديث ابن مسعود ما أنت بحديث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم
إلا كان لبعضهم فتنة وفي الأثر دليل على أنه إذا خشي منه حدث الناس ما لا يعرفون فلا ينبغي
تحديثهم به. قوله وروى عبد الرزاق عن معمر عن طاوس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلاً
إنتفض لما سمع حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصفات فقال: ما فرق هؤلاء الخ قوله ما فرق
هؤلاء يشير إلى أناس ~~كان يحضر~~ مجلس عامة الناس فإذا سمعوا شيئاً من محكم القرآن
فمعناه حصل منهم فرق أي خوف فإذا سمعوا شيئاً من أحاديث الصفات انتفضوا كالمنكرين له
فلم يحصل منهم الإيمان الواجب الذي أوجب الله على عباده المؤمنين فإنه الواجب على العبد التسليم
والإيمان والإذعان والإيمان بما صح عن الله وعن رسوله وإن لم يحط به علماً. والثاني بأنه
يكون بفتح الفاء وتشديد الراء. وما نافية أي ما فرق هذا بينه الحق والباطل ولا عرف ذلك فإذا
قال يجدون رقة أي ليناً وقبولاً ~~للحكم~~ للمحكم ويلكون عند المتشابه - أي ما يشتبه عليهم فهمه
أحدهم آيات الصفات من المتشابه كما تقول الجهمية ولأنه في القرآن متشابه لا يعرف معناه كالألفاظ
الأعجمية وإنما المراد بالمتشابه ما يشتبه فهمه على بعض الناس دون بعض فقد يكون مشتبهاً
بالنسبة إلى قوم بيناً جلياً بالنسبة إلى آخرين قلت وليس من هذه الآثار أو نحوها ما يشير بأنه
أسماء الله تعالى وصفاته من المتشابه وما قاله النفاة من أن كل من المتشابه كما ادعوه بلا برهان
وقوله ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله
فيهم وهم يكفرون بالرحمن وفيه دليل على أن من أنكر شيئاً من الصفات أنه من الكتاب - فالواجب
على العبد الإيمان بذلك سواء فهم أو لم يفهم.

الطاعة وذلك لأنه الكل شرك ومعنى الآية إنه الله تبارك وتعالى نهى الناس أن يجعلوا له أنداداً أى أمثالاً فى العبادة والطاعة وهم يعلمون أنه فعل تلك الأفعال شرك وهذه الآية فى سياق قوله يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم إلى قوله لا تجعلوا لله أنداداً أى عدلاء شركاء وقال بن زيد الأنداد وهو الأرباب وعن قتادة ومجاهد أنداداً قال من الرجال تطيعونهم فى معصية الله تعالى قال بن القيم رحمه الله فتأمل هذه الآية وشدة لزومك لتلك المقدمات إلى أن قال: إذا كان الله وحده الذى فعل هذه الأفعال فكيف تجعلون له أنداداً وقد علمتم أنه لا ند له يشاركه فى فعله. قوله: قال: بن عباس فى الآية الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل الخ إن هذا كله من الشرك وهو الواقع اليوم على ألسن كثير ممن لا يعرف التوحيد أو الشرك فتنبه لهذه الأمور فإنه من المنكر العظيم الذى يجب النهى عنه وتبيينه لكونه أكبر الكبائر وهذا من ابن عباس رضى الله عنه تنبيه الأدنى من الشرك على الأعلى قوله وعن مالك .. قوله فقد كفر أو أشرك يحتمل أن يكون .